المنار ١٣١٥

فبشر عبادِ الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : إن للإسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

مصر ٢٩ جمادى الاولى ١٣٣١ ه ق ١٨ اردیبهشت ١٢٩١ ه ش ٧ مايو ١٩١٣

تفسير القرآن الحكيم

على الطريقة التي كان يقرؤه بها في الازهر الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه

سورة المائدة

(وهي السورة الخامسة ، وآياتها مئة وعشرون عند القراء الكوفيين وعليه فلوجل ، ومئة وثلاث وعشرون عند الحجازيين والشاميين ، ومئة وثلاث وعشرون عند البصريين والخلاف فيها في ثلاثين فقط)

هي مدنية بناء على المشهور من ان المدني ما نزل بعد الهجرة ولو في مكة ، ولا فقد روي في الصحيح عن عمر أن قوله تعالى « اليوم أكملت لكم دينكم » الخ نزل عشية عرفة يوم الجمعة عام حجة الوداع وما رواه ابن مردويه عن أبي سعيد انها نزلت يوم غدير خم ، وعن أبي هريرة في ثامن عشر ذي الحجة مرجع النبي (ص) من حجة الوداع كلاهما لا يصح. وروى البيهقي في شعب الايمان ان أول المائدة نزل بمنى -

أي عام حجة الوداع . وروى من عبيد عن محمد بن كعب انها نزلت كلها في حجة الوداع بين مكة والمدينة

أما التناسب بينها وبين سورة النساء فقد قال الكواشي انه لما ختم سورة النساء آمرا بالتوحيد والعدل بين العباد أكد ذلك بالأمر بالوفاء بالعقود . ونقل الآلوسي عن الجلال السيوطي في بيان ذلك ان سورة النساء قد اشتملت على عدة عقود صريحا وضمنا ؛ فالصريح عقود الأنكحة وعقد الصداق وعقد الحلف وعقد المعاهدة والأمان . والضمني عقد الوصية والوديعة والوكالة والعارية والاجارة وغير ذلك الداخل في عموم قوله تعالى « ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها » فناسب أن تعقب بسورة مفتتحة بالأمر بالوفاء بالعقود . فكأنه قال : يا أيها الناس اوفوا بالعقود التي فرغ من ذكرها في السورة التي تمت وان كان في هذه السورة أيضا عقود

(قال) ووجه أيضا تقديم النساء وتأخير المائدة بأن أول تلك « يا أيها الناس » وفيها الخطاب بذلك في مواضع وهو أشبه بتنزيل المكي . وأول هذه « يا أيها الذين آمنوا » وفيها الخطاب بذلك في مواضع وهو أشبه بخطاب المدني ، وتقديم العامّ (أي خطاب الناس كافة) وشبه المكي أنسب .

(قال) ثم ان هاتين السورتين في التلازم والاتحاد نظير البقرة وآل عمران فتانك اتحدتا في تقرير الاصول من الوحدانية والنبوة ونحوهما . وهاتان في تقرير الفروع الحكمية ، وقد ختمت المائدة بالمنتهى من البعث والجزاء فكأنهما سورة واحدة وقد اشتملت على الاحكام من المبدإ الى المنتهى اه

أقول هذا اجمع ما اطلعنا عليه ولم يأت الرازي ولا البقاعي بشيء جديد . وانت ترى ان معظم سورة المائدة في محاجة اليهود والنصارى مع شيء من ذكر المنافقين والمشركين وهو ماتكرر في سورة النساء واطيل به في آخرها ، فهو أقوى المناسبات بين السورتين وأظهر وجوه الاتصال ، كأن ماجاء منه في هذه السورة متمم ومكمل لما فيما قبلها . وفي كل من السورتين طائفة من الاحكام العملية في العبادات والحلال والحرام ، ومن المشترك منها في السورتين آيتا التيمم والوضوء ، وحكم حل المحصنات من

المؤمنات وزاد في المائدة حل المحصنات من أهل الكتاب ، فكان متمما لاحكام النكاح في النساء . ومن المشترك في الوصايا العامة الامر بالقيام بالقسط والشهادة بالعدل من غير محاباة لأحد ، وكذا الوصية بالتقوى . ومن لطائف التناسب فيها ان سورة النساء مهدت السبيل لتحريم الخمر وسورة المائدة حرمتها ألبتة فكانت متممة لشيء فيما قبلها . وانفردت سورة المائدة بأحكام قليلة في الطعام والصيد والاحرام وحكم البغاة المفسدين وحد السارق وكفارة اليمين، وامثال هذه الاحكام من كماليات الشريعة المؤذنة بتمامها ، كما انفردت النساء بأحكامهن وأحكام الارث والقتال وهي مما كان يحتاج اليه عند نزولها .

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ (٢) يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا ، وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا . وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا . وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ، وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ . إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)

الوفاء والايفاء هو الاتيان بالشيء وافيا تاما لانقص فيه « وأوفوا الكيل اذا كلتم » « وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم » ويقال لمن لم يوف الكيل أخسر الكيل وكذا الميزان ، ولمن لم يوف العهد غدر ونقض ، ولكل كلمة موضع . (والعقود) جمع عقد بالفتح وهو مصدر استعمل اسما فجمع ، ومعناه في الاصل ضد الحل ، وقال

الراغب: العقد الجمع بين اطراف الشيء (أي وربط بعضها ببعض) ويستعمل في الاجسام الصلبة كعقد الحبل وعقد البناء ثم يستعار ذلك للمعاني نحو عقد البيع والعهد وغيرهما اه ومنه عقدة النكاح. وفسروه في الآية بالعهد وهو مايعهد اليك لاجل ذلك ويطلب منك. يقال عقد اليمين وعقد النكاح أبرمه « والذين عقدت أيمانكم » وعقد البيع، وعقدوا الشركة ويقال عاقدته وعاهدته وتعاقدنا وتعاهدنا. وعهد الله كل ما عهد الى عباده حفظه والقيام به أو التلبس به من اعتقاد وأمر ونهي، وما يتعاقد الناس عليه من العهود هو أوثقها وآكدها، فالعقد أخص من العهد. (والبهيمة) مالا نطق له وذلك لما في صوته من الابهام لكن خص في التعارف بما عدا السباع والطير، قاله الراغب. وروي عن الزجاج ان البهيمة من الحيوان مالا عقل له مطلقا. وفي القاموس: البهيمة كل ذات أربع قوائم ولو في الماء أو كل حي لايميز جمعه بهائم اه (والانعام) هي [illegible]: العراب والجواميس، والغنم: الضأن والمعز. واضافة بهيمة الى الانعام البيان « كشجر الاراك » أي أحل لكم أكل البهيمة من الانعام [illegible] معنى التشبيه أي أحلت لكم البهيمة المشابهة الانعام [illegible] الاناب، والاولى ان يقال ان وجه الشبه المقتضي للحل هو كونها من الطيبات التي هي الاصل في الحل. (والحرم) بضمتين جمع حرام وهو المحرم بالحج أو العمرة. (شعائر الله) معالم دينه ومظاهره وغلب في مناسك الحج (والهدي) جمع هدية كجدي جمع جدية لحشية السرج والرحل، وهو ما يهدى الى الكعبة من الانعام ليذبح هنالك وهو من النسك (والقلائد) جمع قلادة وهي ما يعلق في العنق وكانوا يقلدون الابل من الهدي بنعل أو حبل أو لحاء شجر او غير ذلك ليعرف فلا يتعرض له أحد، كما كانوا يتقلدون اذا أرادوا الحج ليأمنوا على انفسهم (ويجرمنكم) من جرمه الشيء أي حمله عليه وجعله يجرمه أي يكسبه ويفعله، فهو ككسب يتعدى الى مفعول والى مفعولين. وأصل الجرم قطع الثمرة عن الشجرة

(يا أيها الذين آمنوا اوفوا بالعقود) روي عن ابن عباس أن المراد بالعقود عهود الله التي عهد الى عباده « ما أحل الله وما حرم وما فرض وما حد في القرآن كله

لا تغدروا ولا تنكثوا » وعن قتادة هي عقود الجاهلية أي ما كان من الحلف فيها . وعن عبد الله بن عبيدة العقود خمس : عقدة الايمان وعقدة النكاح وعقدة البيع وعقدة العهد وعقدة الحلف . وعن زيد بن أسلم عقدة النكاح وعقدة الشركة وعقدة اليمين وعقدة العهد وعقدة الحلف . والظاهر المتبادر أن الله تعالى أمرنا بالوفاء بجميع العقود الصحيحة التي عقدها علينا والتي نتعاقد عليها فيما بيننا . وفي روح المعاني عن الراغب قال : العقود باعتبار المعقود والعاقد ثلاثة أضرب : عقد بين الله تعالى وبين العبد ، وعقد بين العبد ونفسه ، وعقد بينه وبين غيره من البشر . وكل واحد باعتبار الموجب له ضربان ضرب أوجبه العقل وهو ما ركز الله تعالى معرفته في الانسان فيتوصل اليه إما ببديهة العقل وإما بأدنى نظر ، دل عليه قوله تعالى (٧: ١٧٢ وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم) الآية . وضرب أوجبه الشرع وهو ما دلنا عليه كتاب الله وسنة نبيه (ص) فذلك ستة أضرب ، وكل واحد من ذلك إما أن يلزم ابتداء أو يلزم بالتزام الانسان إياه . والثاني أربعة أضرب : فالأول واجب الوفاء به كالنذور المتعلقة بالقرب نحو أن يقول : عليّ أن أصوم إن عافاني الله تعالى والثاني يستحب الوفاء به ويجوز تركه كمن حلف على ترك فعل مباح فان له أن يكفر عن يمينه ويفعل ذلك ، والثالث يستحب ترك الوفاء به وهو ما قال (ص) « إذا حلف أحدكم على شيء فرأى غيره خيرا منه فليأت الذي هو خير منه وليكفر عن يمينه » والرابع واجب ترك الوفاء به نحو أن يقول علي أن أقتل فلانا المسلم(١) فيحصل من ضرب ستة في أربعة أربعة وعشرون ضربا . وظاهر الآية يقتضي كل عقد سوى ما كان تركه قربة أو واجبا فافهم ولا تغفل اه

هذا أجمع كلام رأيته للمفسرين في العقود . وقد تجدد لأهل هذا العصر أنواع من المعاملات تبعها أنواع من العقود يذكرونها في كتب القوانين المستحدثة منها ما يجيزه فقهاء المذاهب الاسلامية المدونة ومنها ما لا يجيزونه لمخالفته شروطهم التي

(١) ما يجب ترك الوفاء به لا يعد عقدا شرعا إذ ليس للانسان أن يلتزم الحرام ، وإنما ما أذن لنا الشارع بعدم الوفاء به في مقابلة كفارة فهو كالمستثنى من الأمر بالوفاء

يشترطونها ، كاشتراط بعضهم الايجاب والقبول قولا حتى لو كتب اثنان عقدا بينهما على شيء قولا أو كتابة نحو « تعاقد فلان وفلان على ان يقوم الاول بكذا والثاني بكذا » من غير ذكر ايجاب وقبول بالقول وامضيا ما كتباه بتوقيعه أو ختمه ، لا يعدونه عقدا صحيحا نافذا . وقد يصبغونه بصبغة الدين فيجعلون التزام المتعاقدين له وايفاءهما به محرّما ومعصية لله تعالى . و يشترطون في بعض العقود شروطا منها ما يستند على حديث صحيح أو غير صحيح صريح الدلالة أو خفيها ، ومنها ما لا يستند الا على اجتهاد مشترطه ورأيه ، ويجيزون بعض الشروط التي يتعاقد عليها الناس ويمنعون بعضها حتى بالرأي

وأساس العقود الثابت في الاسلام هو هذه الجملة البليغة المختصرة المفيدة « اوفوا بالعقود » وهي تفيد انه يجب على كل مؤمن ان يفي بما عقده وارتبط به ، وليس لأحد ان يقيد ما أطلقه الشارع الا بنص منه . فالتراضي من المتعاقدين شرط في صحة العقد لقوله تعالى « عن تراض منكم » وأما الايجاب والقبول فلا نص فيه وانما هو [illegible] بالصيغة اللفظية قولا أو كتابة ، والاشارة تقوم [illegible] الاخرس . واما الفعل فهو أبلغ من القول في حصول المقصد من العقد كبيع المعاطاة الذي منعه بعضهم تعبدا بصيغة الايجاب والقبول اللفظية ، ومثل بيع المعاطاة إعطاء الثوب للغسال أو الصباغ أو المكوّاء فتى أخذه منك كان ذلك عقد إجارة يلزمك أجرة المثل . ومن هذا القبيل إعطاء المال لمن بيده تذاكر السفر في سكك الحديد أو البواخر واخذ التذكرة منه ، ومثله دخول الحمام وركوب سفن الملاحين ومركبات الحوذية الذين يأخذون الاجرة بعد إيصال الراكب الى المكان الذي يقصده ،

فكل قول أو فعل يعده الناس عقدا فهو عقد يجب ان يوفوا به كما أمر الله تعالى مالم يتضمن تحريم حلال أو تحليل حرام مما ثبت في الشرع كالعقد بالاكراه أو على إحراق دار أحد أو قطع شجر بستانه أو على الفاحشة أو أكل شيء من أموال الناس بالباطل كالربا والميسر (القمار) والرشوة فهذه الثلاثة منصوصة في الكتاب والسنة ، ونهى النبي (ص) عن بيع الغرر كما في

صحيح مسلم وغيره لأنه من قبيل الميسر في كونه مجهول العاقبة وهو من الغش المحرم ايضا، وقد توسع بعض الفقهاء في تفسير الالفاظ القليلة التي وردت في الكتاب والسنة فأدخلوا في معنى الربا والغرر ما لا تطيقه النصوص من التشديد ودعموا تشديداتهم بروايات لاتصح، وأشدهم تضييقا في العقود الشافعية والحنفية وأكثرهم تسامحا وسعة المالكية والحنابلة .

ومن الاصول التي بنوا عليها معظم تشديداتهم في ذلك ذهاب بعضهم الى ان الاصل في العقود والشروط الحظر فلا يصح منها الا ما دل الشرع على صحته ، وأن كل شرط يخالف مقتضى العقد باطل ، وعدوا من هذا ما يمكن ان يقال انه ليس منه . واطلاق الوفاء بالعقود يدل على ان الاصل فيها الاباحة وكذلك الشروط ولا سيما العقود والشروط في أمور الدنيا ، والحظر لا يثبت الا بدليل ، ويؤيد اطلاق الآية حديث « الصلح جائز بين المسلمين الا صلحا أحل حراما أو حرم حلالا ، والمسلمون على شروطهم » رواه أبو داود والدارقطني من طريق كثير بن زيد ، والترمذي و[illegible] حراما » وقال الترمذي حسن صحيح (١) [illegible] الناس على شروطهم ما وافقت الحق » رواه البزار من حديث ابن عمر (٢) وهو أشد ضعفا من حديث الصلح الذي ذكره السيوطي في الجامع الصغير بدون زيادة الشروط وعلم عليه بالصحة

وقد يعترض على هذا بحديث عائشة في قصة بريرة وهو « مابال رجال يشترطون شروطا ليست في كتاب الله ، ما كان من شرط ليس في كتاب الله فهو باطل ، وان كان مئة شرط ، قضاء الله أحق ، وشرط الله أوثق ، وانما الولاء لمن أعتق » رواه الشيخان وغيرهما . والمراد بالشرط هنا حاصل المصدر أعني

(١) في سنده كثير بن عبد الله بن عمرو وقد ضعفوه كثيرا وأما كثير بن زيد فقد اختلفت الرواية عن يحيى بن معين في توثيقه فروى ابن الدورقي عنه انه قال ليس به بأس ، وابن ابي مريم عنه انه قال فيه ثقة . ولكن جرح النسائي بضعفه وقال ابن المديني صالح وليس بقوي قال الذهبي في الميزان عند قال جرح كثير بن عبد الله ، وأما الترمذي فروى من حديثه «الصلح جائز» وصححه . فلهذا لايعتمد العلماء على تصحيح الترمذي اه !! ولكن قال ابن تيمية ان تصحيح الترمذي له لروايته من وجوه . وذكر حديث ابن عمر عند البزار وهو الذي أوردناه هنا (٢) في سنده محمد ابن عبد الرحمن ابن البيلماني عن أبيه ضعفوه بل قال ابن حبان حدث عن أبيه بنسخة شبيها بمئتي حديث كلها موضوعة

المشروط لا المصدر الذي هو الاشتراط، ولذلك قال ولو كان مئة شرط ، وإذن باشتراط الولاء لمكاتبي بريرة لانه لغو كما يأتي قريبا في بيان سبب هذا الحديث والمراد بما ليس في كتاب الله ما خالفه لما يؤخذ من سبب الحديث والا كان جميع المسلمين مخالفين لهذا الحديث حتى الظاهرية لانهم يجيزون في العقود شروطا لاذكر لها في كتاب الله تعالى وليس في كتاب الله تعالى شروط لانواع العقود فيكتفى بها ويقتصر عليها ، وانما الواجب ان لايشترط أحد شرطا يحل ما حرمه كتاب الله أو يحرم ما أحله فذلك هو الذي يصدق عليه انه ليس في كتاب الله اذ في كتاب الله ما يخالفه . وأما اشتراط ما أباحه كتاب الله تعالى بالنص أو الاقتضاء فهو في كتاب الله تعالى

وفي هذا الحديث بحث آخر وهو انه ورد في مسألة دينية من العبادات وهي المكاتبة والعتق والولاء وسبب الحديث بينه رواية عائشة في الصحيحين قالت « جاءتني بريرة فقالت كاتبت أهلي على تسع أواق في كل عام أوقية فأعينيني » « فقلت إن أحب أهلك أن أعدها لهم ويكون ولاؤك لي فعلت » فذهبت بريرة الى أهلها فقالت لهم فأبوا عليها فجاءت من عندهم ورسول الله (ص) جالس فقالت اني قد عرضت عليهم فأبوا الا ان يكون لهم الولاء ، فأخبرت عائشة النبي (ص) فقال «خذيها واشترطي لهم الولاء فانما الولاء لمن اعتق » ففعلت عائشة ثم قام رسول الله (ص) في الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال « أما بعد فما بال رجال يشترطون» الخ فالواقعة في أمر ديني اشترط فيه شرط مخالف لحكم الله فكان لغوا والامور الدينية موقوفة على النص . وأما الامور الدنيوية كالبيع والاجارة والشركات وغيرها من المعاملات الدنيوية فالاصل فيها عرف الناس وتراضيهم ما لم يخالف حكم الشرع في تحليل حرام أو تحريم حلال كما تقدم ، ومن أدلة هذا الاصل بعد الآية التي فسرناها وما أيدناها به حديث « أنتم أعلم بأمر دنياكم » رواه مسلم من حديث أنس وعائشة ، وحديث « ما كان من أمر دينكم فالي وما كان من أمر دنياكم فأنتم أعلم به » رواه أحمد . لهذا نجد الامام أحمد أكثر أئمة الفقه تصحيحا للعقود والشروط على انه أوسعهم رواية للحديث وأشدهم استمساكا به ، فابو

حنيفة يقدم القياس الجلي على حديث الآحاد الصحيح وأحمد يقدم الحديث الضعيف على القياس

ومن العقود التي شدد بعض الفقهاء في ابطال شروطها عقد النكاح فترى الذين يجوزون الشروط في البيع وهو من المعاملات الدنيوية الموكولة الى العرف لا يجوزون الشروط في عقد النكاح، وقد قال النبي (ص) « ان أحق الشروط ان توفوا بها ما استحللتم به الفروج » رواه احمد والشيخان في صحيحيهما واصحاب السنن عن عقبة بن عامر. وقد جوز أحمد بهذا الحديث ان تشترط المرأة في عقد النكاح أن لا يتزوج عليها وأن لا تنتقل من بلدها أو من الدار، ويجوز لها فسخ النكاح اذا تزوج عليها وقد اشترطت عليه عدم التزوج عليها كما يجوز لها الفسخ بغير ذلك من العيوب والتدليس - وكذا عند عدم النفقة وعند الغيبة المنقطعة في مذاهب أخرى. واجاز احمد اشتراط التسري في شراء الجارية وحينئذ لا تجبر على الخدمة، واشتراط ان يأخذ البائع الجارية بثمنها اذا أراد المشتري بيعها، ولكن قال لا يقربها وله فيها شرط وتوسعه في الشروط مع الموافق لرواية الحنيفية السمحة ورفع الحرج منها، ولم أر أحدا من العلماء وفى موضوع العقود حقه مؤيدا بدلائل الكتاب والسنة وآثار السلف ووجوه الاعتبار في مدارك القياس الا شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى فليراجعه من أراد التوسع في هذه المسألة

﴿ أحلت لكم بهيمة الانعام ﴾ أي احل الله لكم أكل بهيمة الانعام والانتفاع بها، قالوا ان هذا من التفصيل بعد الاجمال بناء على ان العقود شاملة لجميع الاحكام التي شرعها الله تعالى وامر المكلفين بالايفاء بها، فبدأ بعد وضع هذه القاعدة العامة ببيان ما يحل من الطعام بشرطه الذي يتضمن ما يحرم من الصيد في بعض الاحوال ﴿ الا ما يتلى عليكم ﴾ في الآية الثالثة من هذه السورة من المحرمات كالميتة والدم الخ ﴿ غير محلي الصيد ﴾ أي احلت لكم بهيمة الانعام حال كونكم غير محلي الصيد الذي حرمه الله عليكم بأن لا تجعلوه حلالا باصطياده او الاكل منه ﴿ وأنتم حرم ﴾ أي وأنتم محرمون بالحج أو العمرة أو كليهما أو وانتم داخلون في

أرض الحرم، وهذه الجملة حال من محلي الصيد فلا يحل الصيد لمن كان في أرض الحرم ولو لم يكن محرما ولا للمحرم أي الداخل في الاحرام بالحج أو العمرة وان كان في خارج حدود الحرم بأن نوى الدخول في هذا النسك وبدأ بأعماله كالتلبية ولبس غير المخيط . ولك ان تجعل هذا القيد لحل بهيمة الانعام مرجحا القول من قال ان المراد بها ما كان مشابها للانعام من البهائم الوحشية التي من شأنها ان تصاد كالظباء وبقر الوحش وحمرها ، وأما حل الانعام الانسية فيعلم من الآية بالطريق الاولى ومن غيرها من النصوص بل كان معروفا عند نزول هذه الآية جاريا عليه العمل في الحل والحرم (ان الله يحكم ما يريد) اي يحتم ما أراد منعه او يجعله حكما وقضاء، وارادته انما تكون على حسب علمه المحيط وحكمته البالغة ورحمته الواسعة ، فلا عبث في أحكامه ولا جزاف ولا خلل ولا خلل

(يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله) أي لا تجعلوا شعائر دين الله حلالا تتصرفون بها كما تشاؤن، وهي معالمه التي جعلها أمارات تعلمون بها الهدى من الضلال كمناسك الحج وسائر فرائضه وحدوده [illegible] لكم (ولا الشهر الحرام) ولا تحلوا الشهر الحرام باستباحتكم قتال المشركين فيه ، قيل المراد به هنا ذو القعدة وقيل رجب ، والمتبادر ان المراد به جنس الشهر الحرام فيدخل فيه بقية الاربعة الحرم وهي ذو الحجة والمحرم . وراجع تفسير قوله تعالى (٢ : ٢١٧ يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه) في الجزء الثاني من التفسير تقف على كنه هذه المسألة (ولا الهدي ولا القلائد) ولا تحلوا الهدي الذي تهدونه الى بيت الله من الانعام للتوسعة على من هناك من عاكف وباد تقربا اليه تعالى . وإحلاله يكون بمنع بلوغه الى محله من بيت الله كأخذه لذبحه غصبا او سرقة أو حبسه عند من أخذه ، ولا تحلوا القلائد التي يقلد بها هذا الهدي بنزع القلادة من عنق البعير لئلا يتعرض لها أحد بجهله . وقيل المراد بالقلائد ذوات القلائد من الهدي كأنه قال لا تحلوا الهدي مقلدا ولا غير مقلد ، وخص المقلد بالذكر لانه اكرم الهدي واشرفه ، ويؤخذ من الكشاف انهم ما كانوا يقلدون الا البدن (الابل) وقيل الهدي هو ما لم يقلد ، وهذا كما قالوا في « ولا يبدين زينتهن » لا يبدين مواضع زينتهن ، وقد يدخل

في عمومه من يتقلد من الناس ليعرف انه محرم ، وكان من يريد الحج في الجاهلية ومن يرجع منه يتقلد من لحاء شجره ليأمن على نفسه فلا يعرض له أحد ، فاقر الله تأمين المقلد لتعلم العرب ان من تقلد لاجل النسك كان في جوار المسلمين وحمايتهم وبهذا فسر بعضهم الآية ، وقيل ان المراد هنا المنع من أخذ شيء من شجر الحرم لاجل التقلد به عند العودة من أرض الحرم لأن هذا من استحلال قطع شجر الحرم أو التحائه أي أخذ قشر شجره ، والظاهر ان المراد بالنهي تحريم التعرض القلائد نفسها بازالتها والتعرض المقلد بها من الهدي لان كل ذلك يعد من احلال القلائد حقيقة ، فلا حاجة الى القول بأن النهي عن إحلال القلائد يدل على النهي عن إحلال ذوات القلائد بالاولى ، وهذا هو المتبادر عندي ، وأما من يقصد الحرم للنسك أو غير النسك فتقدم حرم التعرض لهم بقوله (ولا آمين البيت الحرام) أي ولا تحلوا قتال آمين البيت الحرام أي قاصديه المتوجهين اليه، يقال أمّه و عممه وتيممه اذا توجه اليه وقصده وقصد اليه قصدا مستقيما لايلوي الى غيره . والبيت الحرام هو بيت الله المعروف بمكة المكرمة الذي حرمه وما حوله أي منع أن يصاد صيده وان يقطع شجره وان يختلا خلاه أي يؤخذ نباته وحشيشه وجعله آمنا لايروع من دخله (راجع ومن دخله كان آمنا في أول الجزء الرابع)

(يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا) أي يطلبون بأمهم البيت وقصده التجارة والحج معا . أو ربحا في التجارة ورضاء من الله يحول بينهم و بين عقوبته في الدنيا فلا يحل بهم ماحل بغيرهم في عاجل دنياهم ، وبهذا فسره ابن جرير ورواه عن أهل الأثر بناء على ان المراد بالكلام هنا المشركون . فروى عن قتادة انه قال هم المشركون يلتمسون فضل الله ورضوانه فيما يصلح لهم دنياهم . وفي رواية أخرى عنه : والفضل والرضوان الذي يبتغون: ان يصلح لهم معايشهم في الدنيا وان لايعجل لهم العقوبة فيها . وروى عن مجاهد انه قال : يبتغون الاجر والتجارة . وعن ابن عمر انه قال في الرجل يحج ويحمل معه متاعا « لابأس به » وتلا الآية . ولم يرو فيها عن ابن عباس الا انه قال « يترضون ربهم بحجهم » وروى عبد بن حميد عن الربيع بن أنس انه فسر الفضل من ربهم بالتجارة والرضوان بالحج نفسه .

ولهذا قال قتادة ومجاهد وغيرهما ان هذه العبارة من الآية منسوخة بقوله تعالى في سورة براءة « فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم » . وقال بعضهم انها نسخت بقوله تعالى في المشركين « فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا » وقال ابو مسلم المراد بالآية الكفار الذين كانوا في عهد رسول الله (ص) فلما زال العهد بسورة براءة زال ذلك الحظر اه أي لم ينسخ الحكم ولكن زال الوصف الذي نيط به ، وقال بعض المفسرين ان الآية في المسلمين فهي محكمة وحكمها باق فلم تنسخ ولم ينته حكمها . ومن فسر القلائد بمن كان يتقلد من المشركين قال ان النهي عن احلالها منسوخ وايضا . وقد روي ان هذه السورة من آخر القرآن نزولا وانه ليس فيها شيء منسوخ

أما مارواه أهل المأثور في سبب نزول الآية وكونها في المشركين فهو ـ كما روى ابن جرير عن السدي ـ ان الحطم بن هند البكري أتى النبي (ص) وحده وخلف خيله خارجة من المدينة فدعاه فقال الى ما تدعو ؟ فأخبره ، وكان النبي (ص) قال لاصحابه « يدخل اليوم عليكم رجل من ربيعة يتكلم بلسان شيطان » فلما أخبره النبي (ص) قال انظرني لعلي أسلم ولي من أشاوره ، فخرج من عنده فقال رسول الله (ص) « لقد دخل بوجه كافر وخرج بعقب غادر » فمر بسرح من سرح المدينة فساقه ... ثم اقبل من عام قابل حاجا قد قلد وأهدى فأراد رسول الله (ص) ان يبعث اليه فنزلت هذه الآية حتى بلغ « ولا آمين البيت الحرام » فقال لهناس من أصحابه يارسول الله خل بيننا وبينه فانه صاحبنا . قال « انه قد قلد » قالوا : انما هو شيء كنا نصنعه في الجاهلية فأبى عليهم فنزلت هذه الآية . وروى عن ابن جريج عن عكرمة ان الحطم قدم المدينة في عير له يحمل طعاما فباعه ثم دخل على النبي (ص) فبايعه وأسلم . فلما ولى خارجا نظر اليه فقال لمن عنده « لقد دخل علي بوجه فاجر وولى بقفا غادر » فلما قدم اليمامة ارتد عن الاسلام وخرج في عير له تحمل الطعام في ذي القعدة يريد مكة ، فلما سمع به اصحاب رسول الله (ص) تهيأ للخروج اليه نفر من المهاجرين والانصار ليقطعوه في عيره فأنزل الله « يا أيها الذين آمنوا لاتحلوا شعائر الله » فانتهى القوم (ثم قال ابن جرير) قال ابن

جريج : قوله « ولا آمين البيت الحرام » قال ينهى عن الحجاج ان تقطع سبلهم (قال) وذلك ان الحطم قدم على النبي (ص) ليرتاد وينظر فقال اني داعية قوم فاعرض علي ماتقول . قال له « أدعوك الى الله ان تعبده ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم شهر رمضان وتحج البيت » قال الحطم : ان في أمرك هذا غلظة ، فأرجع الى قومي فأذكر لهم ماذكرت فان قبلوا أقبلت معهم وان ادبروا كنت معهم . قال له « ارجع » فلما خرج قال « لقد دخل علي بوجه كافر ، وخرج من عندي بعقبي غادر ، وما الرجل بمسلم » فمرّ بسرح لاهل المدينة فساقه فطلبوه فعاجزهم ، فلما كان العام المقبل خرج حاجا في حجاج بكر بن وائل من اليمامة ومعه تجارة عظيمة ، وقد قلد الهدي ، فقال المسلمون للنبي (ص) هذا الحطم قد خرج حاجا فخل بيننا وبينه فقال النبي (ص) « انه قد قلد الهدي » فقالوا يا رسول الله هذا شيء كنا نفعله في الجاهلية فابى النبي (ص) فانزل الله عز وجل « لاتحلوا شعائر الله » الخ وأنت ترى هذه الروايات متعارضة وسواء صحت أو لم تصح فالآية على اطلاقها وعمومها ، والمفيد من مثل هذه الروايات معرفة أحوال أهل ذلك العصر ، فإنما يعين على الفهم .

﴿ وإذا حللتم فاصطادوا ﴾ أي اذا خرجتم من احرامكم بالحج أو العمرة ومن ارض الحرم فاصطادوا ان شئتم فلا تحرم عليكم الصيد في غير ارض الحرم وفي حال الاحرام فقط ، فهذا تصريح بمفهوم قوله في الآية السابقة « غير محلي الصيد وانتم حرم » والاصل في الامر بالشيء بعد حظره ان يكون للاباحة أي رفع ذلك الحظر كقوله تعالى (فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله) – أي بالبيع والكسب – الذي جاء بعد قوله (اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع) ومنه حديث « كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فانها تزهد في الدنيا وتذكر الآخرة » رواه ابن ماجه ، وله شاهد في صحيح مسلم من غير تعليل . وما كان الاصل فيه الاباحة قد يجب أو يندب أو يحظر لعارض يقتضي ذلك

﴿ ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا ﴾ قرأ ابن عامر وابو بكر بن عاصم واسماعيل عن نافع شنآن بسكون النون الاولى والباقون بفتحها وهما لغتان . وقرأ ابن كثير وابو عمرو « إن صدوكم » بكسر إن على انها شرطية والباقون بفتحها على انها للتعليل . وهذه القراءة تشير الى صد المشركين

المؤمنين عن العمرة عام الحديبية ونهاهم ان يعتدوا عليهم عام حجة الوداع الذي نزلت فيه السورة لأجل اعتدائهم السابق ، والمعنى عليه ولا يحملنكم بغض قوم وعدوانهم على أن تعتدوا عليهم لأنهم صدوكم عن المسجد الحرام . ومعنى القراءة الاخرى انه لا يباح للمسلمين ان يعتدوا على أعدائهم إن صدوكم عن المسجد الحرام أي عن النسك فيه وزيارته ولو للتجارة . واستشكل بأن هذا قد نزل بعد فتح مكة ولم يكن يتوقع صد من أحد وبأنه معارض لقوله « ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم » واجيب بأن الشرط على معنى الماضي بتقدير الكون أي ان كانوا صدوكم عن المسجد الحرام ، ويمكن ان يقال إن ورود هذا بعد فتح مكة وظهور الاسلام على الشرك وأهله لا إشكال فيه لأن الاحكام قد تبنى على الفرض ، ولأن هذا الصد قد يقع من المسلمين بعضهم لبعض كما يفعله بعض أمراء مكة في عصرنا من منع بعض العرب - كأهل نجد - من الحج لاسباب دنيوية - كأخذ بعض أمراء نجد الزكاة من بعض القبائل الذين يعدهم أمراء مكة تابعين لهم - ويحتمل المستكون حكم الحالة المطلوبة على قوله تعالى « فاصطادوا » داخلة في حيز شرطه ويكون المعنى ان الصيد الذي كان محرما عليكم حال كونكم حرما يحل لكم اذا حللتم وأما الاعتداء على من تبغضونهم فلا يباح لكم وأنتم حل كما انه لا يباح لكم وأنتم حرم وان كانوا صدوكم عن المسجد الحرام من قبل . وهذا لا يمنع من الجزاء على الاعتداء بالمثل لأنه نهي عن ابتداء الاعتداء على سبيل الانتقام ، فان من يحمله البغض والعداوة على الاعتداء على من يبغضه يكون منتصرا لنفسه لا للحق ، وحينئذ لا يراعي المماثلة ولا يقف عند حدود العدالة ولم أر من نبه على هذا ولا من حرر هذا البحث ، ولكن أجاز بعضهم ان يكون هذا من توجيه النهي الى المسبب وارادة السبب ، كقوله « لا أرينك ههنا » فالمراد النهي عن البغض والعداوة وجعلها حاكمة على النفس ، حاملة لها على الاعتداء والبغي ، ولا ينفي هذا ان يكون لكل نوع من أنواع الاعتداء كالصد عن المسجد الحرام جزاء خاص يعرف بدليله

لما كان اعتداء قوم على قوم لا يحصل الا بالتعاون قفى على النهي عن الاعتداء

بقوله ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان ﴾ (البر) التوسع في فعل الخير ، قاله الراغب ، وسيأتي تحقيقه (والتقوى) اتقاء كل ما يضر صاحبه في دينه أو دنياه فعلا أو تركا ، (والاثم) فسره الراغب بأنه كالأثام اسم للافعال المبطئة عن الثواب وجمعه آثام، والآثم متحمل الاثم وفاعله. ثم صار الاثم يطلق على كل ذنب ومعصية . (والعدوان) تجاوز حدود الشرع والعرف في المعاملة والخروج عن العدل فيها . وفي الحديث « البر حسن الخلق ، والاثم ما حاك في النفس وكرهت ان يطلع عليه الناس » رواه مسلم وأصحاب السنن عن النواس بن سمعان (رض) وروى احمد والدارمي وحسنه النووي في الاربعين عن وابصة بن معبد الجهني (رض) انه قال أتيت رسول الله (ص) فقال « جئت تسأل عن البر » وفي رواية « جئت تسأل عن البر والاثم » قلت نعم . وكان قد جاء لأجل ذلك فأخبره النبي (ص) بما في نفسه وأجابه عنه ـ فقال « استفت قلبك البر ما اطمأنت اليه النفس واطمأن اليه القلب ، والاثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر وان افتاك الناس وأفتوك » وليس هذا تفسير البر والاثم بالمعنى الشرعي ولا اللغوي وانما هو بيان لما يطلبه السائل من الفرقان بين ما يشتبه من البر والاثم فيشكل على الانسان هل هو منهما أم لا ، فأحاله (ص) في ذلك على ضميره ووجدانه وأرشده الى الاخذ بالاحتياط الذي تسكن اليه النفس ، و يطمئن به القلب، وان خالف فتوى المفتين الذين يراعون الظواهر دون دقائق الاحتياط الخفية . وكان (ص) يجيب كل سائل بحسب حاله

كان الصحابة وسائر العرب يفهمون معنى البر وانما كان القرآن والنبي (ص) يبينان لهم خصال البر وأعماله وآياته ، وما قد يغلطون في عده منه ، ولذلك قال الله تعالى (٢ : ١٨٩ وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى) وكانوا في الجاهلية يأتون البيوت من ظهورها اذا كانوا محرمين بالحج و يعدون هذا من النسك والبر . وقال تعالى (٢ : ١٧٥ ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب . ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين ، وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب ، واقام الصلاة وآتى الزكاة ، والموفون بعهدهم اذا عاهدوا ، والصابرين في البأساء

والضراء وحين البأس ، أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون) فهذا بيان لأهم أركان البر في الدين من الايمان والعبادات البدنية والمالية والاخلاق . وقال تعالى (وتناجوا بالبر والتقوى)

فمجموع ما ورد في البر مصداق لما فسره به الراغب من أنه التوسع في فعل الخير اذا أريد به ما يشمل الافعال النفسية والاخلاق الحسنة باعتبار ما ينشأ عنها من الافعال . وقد قال انه مشتق من البر بالفتح — الذي هو مقابل البحر — بتصور سعته . والا قلنا ان البر اسم لمجموع ما يتقرب به الى الله تعالى من الايمان والاخلاق والآداب والاعمال ، وكل واحد منها يعد خصلة أو شعبة من البر

أما الامر بالتعاون على البر والتقوى فهو من اركان الهداية الاجتماعية في القرآن لأنه يوجب على الناس ايجابا دينيا أن يعين بعضهم بعضا على كل عمل من أعمال البر التي تنفع الناس أفرادا وأقواما في دينهم ودنياهم ، وكل عمل من أعمال التقوى التي يدفعون بها المفاسد والمضار عن أنفسهم ، فعم ذلك بين التحلية والتخلية ولكنه قدم التحلية [illegible] وهو التعاون عن الإثم بالمعاصي وكل ما يصد عن البر والخير ، وعن العدوان الذي يغري الناس بعضهم ببعض ويجعلهم أعداء متباغضين يتربص بعضهم الدوائر ببعض

كان المسلمون في الصدر الاول جماعة واحدة يتعاونون على البر والتقوى عن غير ارتباط بعهد ونظام بشري كما هو شأن الجمعيات اليوم فان عهد الله وميثاقه كان مغنيا لهم عن غيره وقد شهد الله تعالى لهم بقوله (٣ : ١١٠ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) ولما انتثر بأيدي الخلف ذلك العقد ، ونكث ذلك العهد ، صرنا محتاجين الى تأليف جمعيات خاصة بنظام خاص لأجل ان نجمع طوائف من المسلمين ونحملهم على إقامة هذا الواجب (التعاون على البر والتقوى) في أي ركن من أركانه أو عمل من أعماله ، وقلما ترى أحدا في هذا العصر ، يعينك على عمل من البر ، ما لم يكن مرتبطا معك في جمعية ألفت لعمل معين ، بل لايفي لك بهذا كل من يعاهدك على الوفاء ، فهل ترجو ان يعينك على غير ما عاهدك عليه ؟ فالذي يظهر ان تأليف الجمعيات في هذا العصر مما يتوقف عليه

امتثال هذا الامر وإقامة هذا الواجب ، وما لا يتم الواجب الا به فهو واجب كما قال العلماء ، فلا بد لنا من تأليف الجمعيات الدينية والخيرية والملية ، إذا كنا نريد ان نحيا حياة عزيزة ، فعلى أهل الغيرة والنجدة من المسلمين ان يعنوا بهذا كل العناية ، وان رأوا كتب التفسير لم تعن بتفسير هذه الآية، ولم تبين لهم أنها داعية لهم الى أقوم الطرق وأقصدها لاصلاح شأنهم في أمر دينهم ودنياهم . اللهم انك تعلم انا عنينا بتأليف جماعة يراد بها اقامة جميع ما تحب من البر والتقوى ، واصلاح أمر المسلمين في الدين والدنيا ، (وهي جماعة الدعوة والارشاد) اللهم أيد من أيدها ، وأعن المتعاونين على أعمالها ، واخذل من ثبط عنها ، انك العزيز القادر ، القوي القاهر ، العليم بما في السرائر ،

﴿ واتقوا الله ان الله شديد العقاب ﴾ أي اتقوا الله ايها المؤمنون بالسير على سننه التي بينها لكم في كتابه وفي نظام خلقه [illegible] تستحقوا عقابه الذي يصيب من أعرض عن هدايته ، ان الله شديد العقاب لمن لم يتقه باتباع شرعه ، ومراعاة سننه في خلقه ، لا هوادة فيها ولا [illegible] لا وفعله نافع وتركه ضار ، ولم ينه عن شيء الا وفعله ضار وتركه نافع ، ويدخل في معنى المأمور به كل ما رغب فيه ، وفي معنى المنهي عنه كل ما رغب عنه ، فلهذا كان ترك هدايته مفضيا بطبعه الى الحرمان من المنافع والوقوع في المضار التي منها فساد الفطرة وعمى البصيرة، وذلك إبسال النفس يظهر أثره في الدنيا ، وسوء عاقبته في الآخرة . وكذلك عدم مراعاة سنن الله تعالى في خلق الانسان وسجاياه وتأثير عقائده وأخلاقه في أعماله ، وسننه في ارتقاء الانسان في أفراده وشعوبه ، كل ذلك يوقع الانسان في الغواية ، وينتهي به الى شر عاقبة وغاية ، وانما يظلم الانسان نفسه ولا عتب له الا عليها ، والعقاب هنا يشمل عقاب الدنيا والآخرة كما أشرنا اليه ، وقد ورد في بعض الآيات التصريح بالجمع بينهما ، وفي بعضها التصريح بأحدهما ، كقوله في عذاب الامم في الدنيا (وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهي ظالمة ، ان أخذه أليم شديد) . ووضع اسم الجلالة المظهر في قوله « ان الله شديد العقاب » والمقام مقام الاضمار لما لذكر الاسم الكريم من الروعة والتأثير ، وذلك أدعى الى حصول المقصود من الوعظ والتذكير .

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لإجابة أسئلة المشتركين خاصة ، إذ لا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل أن يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرمز إلى اسمه بالحروف إن شاء ، وإننا نذكر الأسئلة بالتدريج غالبًا وربما قدمنا متأخرًا لسبب كحاجة الناس إلى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا . ولمن مضى على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فإن لم نذكره كان لنا عذر صحيح لإغفاله

(أسئلة من صاحب الإمضاء في دربند (بوسنه وهرسك)

إلى جناب الأستاذ الأكبر ، والمصلح الغيور الأفخم ، الإمام العلامة الأجل ، والهمام الفهامة الأكمل ، حكيم الأصلاح ، وفيلسوف الأنام ، قدوة العلماء الأعلام ، سيد المحققين وسند المدققين ، مقتدى الأمة ، وعمدة أهل السنة ، ناصر السنة وقامع البدعة ، فريد العصر ، ووحيد الدهر ، البحر النحرير ، والعلم الشهير ، صاحب المنار المنير ، السيد الشريف السيد محمد رشيد رضا حفظه الله عز وجل وجاد وشكر سعيه

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

(س١١) ما قولكم في رجل مسافر نوى الإقامة مدة أربعة أيام في بلد فأكثر على اختلاف الأئمة هل يسوغ له أن يؤم المقيمين في الرباعية من غير قصر وهل يعد مقيمًا أم لا ؟

(س١٢) ما قولكم في قوم مسافرين في البحر أو سكة الحديد هل يتوجهون عند إقامة الصلاة جماعة أو أفرادًا حيث يتوجه المركب ويسير من غير تحر للقبلة ولا اعتناء بها أم يتحرون القبلة ويتوجهون إليها من غير استدارة في الصلاة وانتفاء بحفظها عند تحول المركب عنها أم يفعلون غير ذلك ؟

(س١٣) ما قولكم في رجل يبدأ في الصلاة بأم الكتاب غير أنه يأتي بالاستعاذة والبسملة بعد التكبير ولا يقرأ شيئًا سوى ذلك لا نحو « سبحانك اللهم » الخ ولا نحو « وجهت وجهي الخ » . وإذا سئل عن سبب ذلك أجاب : قراءة « سبحانك » لم يرد فيه حديث صحيح مرفوع يصلح للاحتجاج به ، وقراءة « وجهت » لم يرو إلا في النوافل بل الذي صح قراءته عنه عليه الصلاة والسلام في الفرائض هو قوله « اللهم باعد » الخ مع أنه لم يأخذ بما ورد في هذا أحد من الأئمة .

ثم زيد في صلاة الحضر كما مر مفصلا ، ولولا أن جعل الرباعية في السفر ثنائية عزيمة لكان الخطب فيما سألعنه السائل سهلا ، فملخص السؤال هل يتم المسافر الذي ينوي الاقامة أربعة أيام اذا أم المقيمين ؟ وملخص الجواب أنه لا يتم في هذه الحالة كما لا يتم في غيرها على المختار من كون القصر عزيمة والا فهو مخير ، والله أعلم

﴿ استقبال المصلي في المراكب والقطارات الحديدية ﴾

استقبال القبلة في الصلاة فرض وشرط لصحتها يسقط بتعذره « والميسور لا يسقط بالمعسور » فعلى المسافر في البر أو البحر ان يتحرى القبلة ويستقبلها اذا أمكن وهذا متيسر في سفن البحر الكبيرة المعدة للسفر في هذا العصر وقلما تحول السفينة تحولا سريعاً يعرف به المصلي عن القبلة في أثناء الصلاة بل هذا شيء كأنه لا يحصل ، فاذا فرضنا أنها تحولت وعلم بتحولها تحول هو الى القبلة أيضاً . وأما القطارات الحديدية فلا يتيسر فيها استقبال القبلة كما يتيسر في البواخر والسفن الشراعية الكبيرة فالاولى للمسافر فيها ان ينتظر وقوفها ويصلي صلاة تامة ولو بالجمع بين الصلاتين فان خاف ان تفوته صلاة تحرى القبلة وصلى [illegible] كما يصلي في السفينة الصغيرة قائما أو قاعدا مستقبلا يتحول بتحولها [illegible] على حاله ، والصلاة في السفينة معروفة في الفقه وفيها [illegible] الاجماع

﴿ الاستفتاح في الصلاة بين التكبير والقراءة ﴾

حديث الاستفتاح « سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك » لا يصح كما قال الرجل . وأما قوله : إن حديث « وجهت وجهي » لم يرو الا في النوافل دون الفرائض فغير صحيح فان حديث علي كرم الله وجهه فيه - وان قيده مسلم بصلاة الليل - قد قيده الشافعي في سننه وابن حبان في صحيحه بالصلاة المكتوبة ، ولا منافاة بين القيدين فانه كان يستفتح بذلك في المكتوبة وفي صلاة الليل . وأما حديث « اللهم باعد بين خطاياي » الخ فلا يمنع العمل به عدم أخذ أحد من الائمة به ان صح هذا ، وعدم العلم بأخذهم به لا يقتضي عدمه ولم يؤثر عن أحد منهم الطعن فيه - فذلك الرجل الذي يبدأ بعد تكبيرة الاحرام بالاستعاذة والبسملة وأم الكتاب يعد مخالفا للسنة فيما ثبت وصح عن النبي (ص) عنده ثم رغب عن العمل به لأنه لم يعرف عن أحد من الائمة انه أخذ به ، كحديث « اللهم باعد » وكذا حديث علي اذا علم به ولم يكن له مطعن في تقييد مثل الشافعي وابن حبان إياه

بالصلاة المكتوبة ، فينبغي له ان يأتي بما صح ولو لم يواظب عليه

﴿ التأمين بعد الفاتحة في الجماعة وغيرها ﴾

ثبتت مشروعية تأمين الامام والمأمومين بأحاديث متفق على صحتها . وروى ابو داود وابن ماجه والدارقطني وقال اسناده حسن والحاكم وقال صحيح على شرطهما والبيهقي وقال صحيح عن أبي هريرة قال : كان رسول (ص) اذا تلا «غير المغضوب عليهم ولا الضالين » قال « آمين » حتى يسمع من يليه في الصف الاول ، وروى مثله احمد وابو داود والترمذي وحسنه والدارقطني وصححه وابن حبان من حديث وائل ابن حجر ، قال الحافظ ابن حجر وسنده صحيح وخطأ ابن القطان في إعلاله ، وقد ورد من طرق ينتفي بها اعلاله وقال ابن سيد الناس ينبغي ان يكون صحيحا . فيدل هذا وما قبله على مشروعية التأمين مطلقا فلا حاجة الى نص في تأمين الذي يصلي منفردا ـ لهذا نرى ان اجتهاد من يترك التأمين في غير حالة الاقتداء خطأ

﴿ المسح على الخفين بعد الحدث واشتراط الطهارة قبل لبسهما ﴾

الاصل في اشتراط الطهارة [illegible] جواز المسح عليهما حديث المغيرة بن شعبة المتفق عليه [illegible] صلى الله عليه وسلم ذات ليلة في مسير له فأفرغت عليه من الاداوة فغسل وجهه وغسل ذراعيه ومسح برأسه ثم أهويت لأنزع خفيه فقال « دعهما فاني ادخلتهما طاهرتين » فمسح عليهما اه وورد هذا الحديث بألفاظ أخرى في الصحيحين وغيرهما وكان ماذكر فيه في وقعة تبوك وهي بعد نزول سورة المائدة التي فيها آية الوضوء . واختلف فقهاء الامصار من سلف الامة في المراد بطهارة القدمين فذهب الجمهور الى انها الطهارة الشرعية وذهب بعضهم الى انها الطهارة الحسية التي تستفاد من اطلاق اللغة أي ادخلتهما نظيفتين ليس عليهما خبث ، وهذا مذهب الامام داود . وفي حديث عمرو بن امية الضمري عند أحمد والبخاري وغيرهما وحديث بلال عند احمد ومسلم واصحاب السنن ماعدا ابا داود ، وحديث المغيرة عند مسلم والترمذي ان النبي (ص) مسح على العمامة (وفي بعض الروايات الخمار) والخفين ، وروي العمل بحديث المسح على العمامة عن جماعة من الصحابة والتابعين وأئمة الامصار كالاوزاعي واحمد واسحق وابي ثور وداود . ولم يرو اشتراط وضع العمامة أو الخمار على طهارة الا عن أبي ثور ، وهذا يرجح قول داود بن علي في طهارة القدمين لان من شأنهما ان يصيبهما الخبث . وهذا المسح لا

ينافي حكمة الوضوء وهي تعهد أطراف البدن بالنظافة لكثرة طروء الوسخ عليها وما في غسلها من التنشيط على العبادة مع سهولة ذلك وعدم الحرج والمشقة فيه الا في نزع العمامة والخفين ، (وأعني العمامة التي كانوا يتعممون بها في عهد التشريع فقد كانت تدار على الرأس مباشرة في الغالب ويحتنك بها فتشبه الخمار ولهذا ورد المسح بلفظ العمامة وبلفظ الخمار) وإزالة مثل هذه العمامة لمسح الرأس وإعادتها لايخلو من مشقة كنزع الخفين وغسل الرجلين ، فلما كان الامر كذلك وكان الله عز وجل يقول في آية الوضوء « ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم » - والمراد بالطهارة النظافة - وكانت الطهارة المطلوبة تحصل بغسل الأعضاء المكشوفة والمسح على سائر العضوين اللذين من شأنهما المسح في ظاهر الآية - لما كان ذلك كذلك دلنا ان مسح النبي (ص) على العمامة والخمار والخفين بيان عملي لقوله تعالى « وامسحوا برءوسكم وأرجلكم الى الكعبين ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم » وليس عندنا نص [illegible] المسح بما اشترطه الطحاوي فظهر ان قول الطحاوي بوجوب الوضوء والمسح عليهما قبل ان يحدث بعد لبسهما على طهارة لا يقتضيه [illegible] مشروعية المسح و[illegible] حكمة الوضوء والمسح ولذلك كان الجمهور على خلافه

﴿ تفضيل الامام أبي حنيفة بالاعتناء بالحديث وشروطه على الشيخين ﴾

لاينبغي ابداء الرأي في عبارة من فضل أبا حنيفة في الحديث على الشيخين (رحمهم الله اجمعين) الا بعد الاطلاع عليها ، وما نقله السائل عنه أراه غير صواب ، ولا أحب الخوض في هذه المسألة لأني لا أرى له فائدة بل ربما كان ضارا لأن الناس يتبعون الهوى في الكلام على الأئمة المتبوعين ولا يقبلون الا ما وافق أهواءهم ، وليس لأبي حنيفة كتب في الحديث كالصحيحين حتى تكون فائدة التفاضل الاعتماد على كتبه وما اشتمله في أسانيدها وترجيحها على الصحيحين أو ترجيح الصحيحين عليها عند الاحتجاج . والمحدثون الذين تكلموا في الامام أبي حنيفة قد اعترف جمهورهم بأنه سمع الحديث من عدة رجال وسمع منه تلاميذه ولكنهم لم يعدوه من رجال الجرح والتعديل الذين يعتمد على كلامهم في نقد الحديث كالشيخين ومن قبلهما ومن بعدهما فلا تكاد ترى اسمه في كتب هذا العلم . وما يعزى اليه من الحديث كاستدلاله به في كتب الفقه مثلا يحكم المحدثون فيه رواية الحفاظ ويرجعون اليه في كتبهم كالصحاح

والمسانيد والسنن والمعاجم ويعتمدون على أسانيدها وعلى كلام أئمة الجرح والتعديل في رجالها كابن القطان واحمد بن حنبل ويحيى بن معين والشيخين واصحاب السنن الاربع ، ويعتمدون فيما اختلف فيه منها على تحقيق حفاظ القرون الوسطى كالذهبي وابن حجر ، ولا يعدون استدلال الامام وأصحابه بحديث كافياً في الحكم بصحته وان صرحوا بأنه صحيح بل نراهم يحكمون بضعف كثير من الاحاديث التي استدل بها الحنفية على قول الامام وأصحابه بل جزموا بأن كثيرهم فيها أحاديث موضوعة . ولو كان لأبي حنيفة كتب في الجرح أو التعديل أو رويت عنه أقوال في ذلك لأحلها هؤلاء محلها من الاعتبار لانهم يرجونه بالورع والتقوى . وصرح بعض المتأخرين بأنه لايخل بمقامه تضعيف بعض الحفاظ له من جهة حفظه كالنسائي وابن عدي . وجملة القول انَّ أبا حنيفة يعد عندهم من أئمة الفقه لا من رجال نقد الحديث فلا وجه للمفاضلة بينه وبين الشيخين في الحديث ، ونسأل الله ان ينفعنا بعلوم الجميع ويحفظنا من العصبية الجاهلية لاحد منهم

﴿ محاورة بين سياسي وتاجر ذكي ﴾

(في المركزية واللامركزية)

التقى أحمد التجار الاذكياء بصديق له من أهل العلم والوقوف على السياسة وأحوال الزمان ـ وكلاهما من العثمانيين ـ ودار بينهما الحديث الآتي

التاجر ـ نرى الجرائد قد شغلت الناس بكلمتين ما كنا نسمعهما قبل هذا العهد، وهما كلمة المركزية وكلمة اللامركزية ، ونرى الناس قد اختلفوا فيهما اختلافاً كبيراً فمنهم من يقول سعادة الامة وحياة الدولة لايكونان الا بالمركزية ، ومنهم من يقول بالعكس . ولما كنت واثقاً بمعرفتك وصدقك أيها الاستاذ وباخلاصك للدولة عولت عليك في كشف الحقيقة فأسألك أولا ماهي المركزية واللامركزية ؟

الاستاذ ـ المركزية عبارة عن كون رجال الحكومة العليا في عاصمة المملكة يتولون أنفسهم أمر سياستها الخارجية وادارتها الداخلية، فيكون بيدهم الحل والعقد، والدخل والخرج ، والنصب والعزل ، وعدم المركزية عبارة عن جعل الادارة الداخلية لكل ولاية أو قطر من المملكة الواحدة في أيدي أهل تلك الولاية، وتكون رابطتهم بمركز الحكومة العام في الامور العامة كلها كالسياسة الخارجية والحربية ومصلحتي البريد والبرق ،

التاجر ـ هل الممالك الاوربية والامريكية من نوع المركزية أم من نوع اللامركزية

الاستاذ ـ بعضها من هذا النوع وبعضها من النوع الآخر. فجمهورية فرنسة مركزية وجمهوريتا سويسرة والولايات المتحدة لامركزية وكذلك أمبراطوريتا ألمانية والنمسة

التاجر ـ ماهو سبب الاختلاف في نوع ادارة هذه الممالك مع كونها كلها مرتقية في العلم والقوة والسياسة

الاستاذ ـ أما فرنسة فترى ان الادارة المركزية تناسبها لان مملكتها كدار واحدة تسكنها أسرة واحدة . فهي ضيقة المساحة ومتصلة الارجاء كلها بالسكك الحديدية وأهلها من جنس واحد ودين واحد وينطقون بلغة واحدة . وبقية الممالك المرتقية ليس لها كل هذه الصفات فكان الاصلح لها والادعى الى عمرانها ورضاء أهلها واتحادهم وارتباط بعضهم ببعض أن تكون حكومتها من نوع اللامركزية

التاجر ـ ماهو الاصلح لدولتنا العلية ؟ المركزية أم اللامركزية ؟

الاستاذ ـ ان اللامركزية أصلح لها، بل لا صلاح لها بغيرها، لاسباب كثيرة اذا أمكن الجدال والمراء في بعضها، فلا يمكن في سائرها، الا لمن أراد أن يسمي الضلالة هداية والباطل حقاً

التاجر ـ تكرم علي ببيان هذه الاسباب أو أهمها

الاستاذ ـ ان هذه الاسباب قسمان قسم منها لبيان كون اللامركزية أسهل طرق العمران وأقوى وسائل الترقي، والقسم الآخر لبيان كونها ضرورية للدولة لا يمكن عمرانها ولا حفظها بدونه، وبحثنا الآن في الاول بعد من ترك الضروري للاشتغال بالكمالي . فيجب أن نبحث أولا عما يقي بلادنا من الخراب والدمار المشرفة عليهما لا اننا في عمرانها نبحث عما هو أكمل منه ، فالولايات المتحدة الامريكية كانت باللامركزية في مقدمة ممالك الارض عمرانا ، ولو اختارت لنفسها الحكومة المركزية لامكنها بها أيضاً أن تكون عامرة لانها على سعتها متصلة الارجاء بالسكك الحديدية ولها لغة واحدة وترى اهلها تربية واحدة أو متشابهة ، فأين نحن منها ومن التشبه بها ؟

أما الاسباب التي تجعل اللامركزية ضرورية للمملكة العثمانية فأهمها ما يأتي

(١) ان هذه المملكة واسعة المساحة بعيدة الارجاء، نائية الانحاء، حتى ان مساحة آسية الصغرى والبلاد العربية تضاهي بمسافتها ممالك الهند التي يعيش فيها أكثر من ثلاث مئة مليون ، وهي على سعتها ليس فيها سكك حديدية تربط ولاياتها

بالعاصمة التي صارت في الطرف منها ولا بعضها ببعض ، فتوقف أمورها الادارية والقضائية وغيرها على أمر المركز ونهيه ،فسد لما نبينه ولاسباب اخرى نلم بما يأتي، فقد تحدث الحادثة المهمة كالثورة الاهلية او الخروج على الحكومة في بعض البلاد فلا يستطيع المركز العام ان يبدأ بتدارك ذلك الا بعد عدة أشهر ولا أن ينتهي منه الا بعد سنين ، فأي فساد أشد من جعل أمور الامن والعدل والتعليم والعمران مقيدة بهذا المركز السحيق

(٢) ان أهل هذه المملكة مختلفو اللغات ، وأكثرهم لايعرف لغة أهل المركز العام ولا أهله يعرفون لغاتهم، وكذا سائر الشعب التركي الحريص على الاستئثار بجميع أنواع السلطة والحكم وادارة جميع المصالح في جميع هذه البلاد ، فاقامة العدل الذي هو الشرط الأول للعمران متعذر من حكام لايعرفون لغة الذين يحكمون بينهم، وكذلك سائر المصالح لأنها تتوقف على فهم كل فريق من الآخر ، ودع عصبية الأجناس التي اثارها الاتحاديون فيهم

(٣) ان أهل هذه المملكة مختلفون في الأديان والمذاهب والعادات والاخلاق اختلافا كبيرا بحيث ان أكثر مسلمي العرب كأهل الحجاز واليمن ونجد لايقبلون ان يحكم بينهم بالقوانين التي يرضى بها مسلمو الترك بل يعدون الحكم بها كفرا يجب قتال الحكومة التي تقرره عند القدرة على ذلك، فلابد من ان يجعل الامر يجعل الادارة والقضاء والتعليم في كل بلاد موافقا لحالها ، وهذا هو أساس اللامركزية

(٤) ان المتخرجين في مدارس عاصمة دولتنا الرسمية الذين هم أصحاب التقدم في وظائفها الشرعية والادارية والقضائية (العدلية) لايكاد يوجد فيهم أحد يعرف تاريخ جميع شعوب الدولة وأحوالهم الروحية والاجتماعية فتوسيد الأمر اليهم مدعاة الخلل في الادارة والظلم في القضاء . زد على هذا أن أكثرهم لايعرف من لغات هذه الشعوب الا لغة شعب واحد وهي التركية كما قلنا في بيان السبب الثاني

(٥) ان أكثر المتخرجين في هذه المدارس الرسمية متفرنجون حتى انه يقل فيمن ينتسبون الى الاسلام منهم من يؤدي الفرائض ويجتنب كبائر المعاصي. وأمثال هؤلاء لايصلحون لتولي الاحكام بين من يمقتون التفرنج والفسق وان كان من المعاصي الشخصية كشرب الخمر ، فكيف اذا اقترن كما هو الغالب بالمعاصي التي يتعدى ضررها كالرشوة.

(٦) ان مركز دولتنا شر من مركز كل حكومة مركزية في الدنيا فان رجالها لاهم لهم الا جباية المال بالحق وبالباطل والتمتع به وعدم وضعه في مواضعه فأموال

الاوقاف والطرق ومخصصات المعارف الولايات لاتصرف في مصارفها بل يجرف أكثرها الى المركز العام (الاستانة) وهناك يذوب ويضمحل والبلاد كلها خراب حتى الآستانة، فلو كانت المركزية تصلح لهذه المملكة لكان ما علمنا من حال القائمين بها كافيا وحده لتركها وجعل اللامركزية بدلها

وانني اعلم علم اليقين ، ان الناس ماصبروا على امثال هؤلاء الحكام في مثل بلادنا الا كارهين مكرهين ، وها نحن أولاء نرى أهل بلادنا السورية وهم أحسن البلاد العثمانية عمرانا بمتاطيهم قد يئسوا منها فهم يهاجرون منها أفواجا ، فاذا استمرت هذه الهجرة بضع سنين تصبح البلاد خرابا يبابا ، وانت تعلم ان البلاد التي يهاجرون اليها ليست أشد قابلية للعمران من بلادهم ، ولكن العمران عال في ظل حكومة مركزية بينها وبين أهل البلاد من الفروق ما أشرنا اليه .

فهذه أهم الاسباب التي تعرف بها ان هذه المملكة لا يصلح أمرها الا باللامركزية الادارية الواسعة أو الاستقلال الاداري التام والا فهي سائرة الى الخراب أو صائرة الى الزوال ، أعني استيلاء الاجانب عليها بالفتح السلمي أو الحربي

التاجر - يالله العجب ان بعض المعترضين على طلب اللامركزية يقولون إن حسنها من جهة العمران لاينكر الا انها تكون وسيلة الى استيلاء الاجانب على كل ولاية تدار باللامركزية لانها تنفصل من مركز السلطنة فتكون ضعيفة لاتقدر على حفظ نفسها كما وقع في تونس ومصر

الاستاذ - يمكنني ان أكتفي من معارضة هذا القول بالسؤال عن ولاية طرابلس الغرب وولايات الدولة الأوربية التي انفصلت منها أولا فتألفت منها عدة ممالك، والولايات التي انفصلت منها في هذا العام أو هذه الأيام بقوة تلك الولايات التي صارت ممالك قوية بعد استقلالها ، هل كانت هذه الولايات الزائلة وامثالها مما أخذته روسية والنمسة تدار على قطب اللامركزية، أم كانت - ماعدا طرابلس - أشد الولايات اتصالا بالمركز ومعهدا ومقرا لكل مافيه من القوة؟ فاذا كانت الحكومة المركزية الشديدة لم تمنع أقرب الولايات الى المركز العام وأشدها اتصالا به من استيلاء اضعف الاجانب عليها ، فكيف تقدر أن تمنع الولايات البعيدة عن المركز كالعراق وسورية ان تستولي عليها الدول الكبرى كانكلترة وفرنسة ؟؟

كان يمكنني ان اكتفي بهذا ولكنني أفرض ان الدولة اعزها الله وأصلحها يمكنها ان تحمي سورية من فرنسة والعراق من انكلترة بأساطيلها وجيوشها البرية التي تتدفق

من المركز العام في طرف المملكة الاقصى ـ افرض هذا فأقول ما الذي يمنعها من هذه الحماية اذا كانت ادارة البلاد بأيدي أهلها وهم عثمانيون تابعون لها على كل حال، وما يطلبونه من اللامركزية الادارية لا يخرج قوة البلاد العسكرية من سلطة المركز العام، ولا يبيح للولايات أن تعقد مع الاجانب معاهدات سياسية، ولا أن تعطيهم شيئا من الامتيازات التي تنافي مصلحة المركز السياسية أو الحربية، كما كانت عليه تونس ومصر بالفعل قبل حماية فرنسة للاولى واحتلال انكلترة الثانية، على ان حكومة الاستانة المركزية لو كانت ذات قوة حربية وسياسية لما حل بهذين القطرين ما حل بهما، فهذه انكلترة لم تحتل مصر الا بعد ان طالبت حكومة الباب العالي بإرسال جيش عثماني لقمع الثورة العرابية فلم تفعل بل اذنت لها بأن ترسل الجيش الانكليزي للقيام بذلك واصدرت ارادة سلطانية بناء على طلب انكلترة بعصيان عرابي ومن معه للخليفة أو لدولة الخلافة بقيامهم على الخديو وقتالهم لانكلترة !!

فلو ان طلاب اللامركزية طلبوا الاستقلال الاداري والسياسي والعسكري لـكان اعتراض أولئك المعترضين موضع النظر والبحث، ولكنهم لم يطلبوا ذلك كله وأنما طلبوا القسم الاداري منه المتعلق بالمصالح الداخلية الخاصة كالادارة والقضاء والتعليم والزراعة والصناعة، ولا يقصدون من هذا الا عمران الولايات ورقي أهلها بحيث تكون كل ولاية عضوا قويا في بنية الدولة

التاجر — ان المعترضين اعتراضاً أقوى من الاعتراض الاول، وهو أن أهل الولايات يغلب عليهم الجهل وفساد الاخلاق والعجز عن القيام بأعمال الحكومة لانهم لم يتمرنوا عليها وانما التمرن على ذلك والمستعد له هم اخواننا الترك . وقد سمعت قولك في ضعف الترك وجهلهم فما قولك في غيرهم من العثمانيين ونسبتهم اليهم ؟

الاستاذ — انني لا أجهل ماعليه أهل بلادنا العربية من الجهل وضعف الاخلاق ولا أنكر ذلك ولا أغطيه وأعلم ان سببه الاكبر ما كان من سوء ادارة حكومتهم المركزية واستبدادها وجهلها وظلمها، ولكنني أقول ان إخوانهم الترك ليسوا خيراً منهم في شيء قط، لانهم ليسوا أزكى فطرة ولا أذكى قريحة ولا أفضل وراثة لسلف صالح، ولا كان الاستبداد الذي يفسد البشر أخف وطأة عليهم، بل ربما كان أشد، لان نفوذ الحكومة الاستبدادية كان عاماً فيهم شاملا لهم ولم يعم البلاد العربية كلها، فلا يزال فيها ملايين عجز الظلم عن الانسياق اليهم، وتضاءل الاستبداد ان ينال منهم، ومن دونهم ملايين آخرون (أهل اليمن) وقفوا في وجوه جيشه

وقفة القرن للقرن ، وكانت الحرب بينهما سجالا مدة أربعة قرون ، ثم ان تاريخ سريانه فيها قريب ، وهو في الولايات التركية أصيل وقديم ،

نعم ان العاصمة البزنطية التي كانت تكتفي في الاجيال الحالية بأن يكون لها في كل قطر وجل أو رجلان لتمثيل قوتها وعظمتها ، وجباية المال لها ، قد وسعت نفوذها في عهد السلطان عبد الحميد بعض التوسع ولم تستطع ان تبث رجالها في كل مدينة من مدن البلاد الا في عهد نيرونها عبد الحميد خان ، الذي يلعنه أهلها وغيرهم بكل شفة ولسان ، فاذا كان عبد الحميد ورجاله وخلفهم من الاتحاديين - وهم شر منهم - هم الذين يفضلهم الجاهلون والمنافقون على سائر أهل المملكة من جميع الشعوب بدعوى انهم تمرنوا على الادارة والاحكام ، فحسبنا في الرد عليهم ان السماء والارض قد استغاثتا من ظلمهم وسوء ادارتهم ، وحسبك من الشواهد العيانية ماجرته ادارتهم وسياستهم على المملكة من اضاعة ثلثها الافريقي وثلثها الاوربي ، وبعض الثلث الاسيوي ، وجعل الباقي على خطر ، وانه لم يوجد أحد منهم له في المملكة أثر ما من آثار العمران ، الا أن يكون مدحت باشا على ضعف فيه ، فانا لا ننسى له مثل تأسيس شعبة المعارف في سورية وخط الترامواي بين طرابلس وبيروت ، وأمثال ذلك من الأعمال الصغيرة فيها نفسها التي نشكرها لا لأنها [illegible] من الآستانة أحدث [illegible] مثلها ، فالبزنطيون قوم متمرنون على التخريب ، كما ثبت بالمشاهدة والتجربة ، فهل نجعل هذا دليلا على استعدادهم للتعمير ؟

اذا أردنا ان نصف التاريخ في وصف الشعوب العثمانية فلا مندوحة لنا عن القول بأن الشعب الارمني هو الآن أكثرها تعلما وتربية مدنية ونشاطاً في الكسب والعمل ، ويليه الشعب السوري ، وأننا ينقص عنه في نسبة التعلم والتفرق ، فان تساهلنا وتنازلنا قلنا كنا في الهوى سوى ، فلماذا نجعل الاحكام والمصالح كلها في أيدي البزنطيين دون غيرهم ؟ فان فرضنا انهم يمتازون بشيء من قشور العلوم والفنون الاوربية التي تقرأ في مدارسهم ، فأي حاجة لنا بهذه القشور في بلادنا التي لا تعرف لغتهم لتستفيد شيئا منها ، ان كانت محتاجة اليها ، على ان كثيرا من أبنائنا المتعلمين في تلك العاصمة والمتعلمين في بلادهم وفي مصر وأوربة هم خير منهم ، فنستغني بهم عنهم

اننا قد جربنا حكمهم وعرفنا ثمرته فلنجرب استعدادنا أيضاً عسى ان تكون غيرة أهل كل قطر على بلادهم ، أشد من غيرة البزنطيين على ما كان من سلب أموالهم ، فتقع المباراة في وسائل العمران بين الشعوب العثمانية كلها ، ويعتمد كل منهم على ما

آتاه الله من المواهب لتعمر البلاد ويكون بعضها لبعض عونا وظهيرا ؟

التاجر – أليس طلب العرب للادارة اللامركزية مثمرا لكراهة اخوانهم الترك ومشاقتهم ؟

الاستاذ – ان الاعمال العامة من سياسية وادارية تبنى على المصلحة لا على عاطفة الحب او عاطفة البغض ، وان ماجرى عليه حكم عاصمة هذه الدولة بدم الحاكمية التركية كان وما زال ضارا بالترك والعرب وسائر الشعوب التي تغلبت عليها تلك العاصمة الظالمة ، وانما يتلذذ الجاهلون من اخواننا الترك بنسبة الدولة اليهم ، وتكلم رجال الحكومة البزنطية بلغتهم بل بلغة تسمى التركية وان كان حظها من التركية الاصلية لا يزيد على حظها من غيرها كثيرا . ولا شك ان نسبة هؤلاء البزنطيين الى الترك اضعف من نسبة لغتهم الى التركية ، فانهم أوشاب من شعوب شتى أكثرهم من الروم الذين نسبوا الى الاسلام . وكيفما كانوا وكانت أساليبهم فانهم قد اضاعوا ثلثي مملكة بني عثمان وخربوا الثلث الآخر ، ولم يبق في الامكان ان يطول حكم هذه العاصمة المركزي ولا سيما بأمثال هؤلاء الرجال ، فطلب تغييره بعد خدمة لاخواننا الترك قبل غيرهم من الشعوب العثمانية ، والا صار الجميع أكلة للاجانب . ولا يعده كراهة للترك الا من يود ان تبقى هذه المملكة عرضة للاستبداد [illegible] التي تشد اواخي الاخاء بين العرب والترك ، وعدمه هو الذي يخشى ان يؤدي [illegible] الى شقاق عظيم وفشل خطرة ، وأي عاقل يقول ان عبر احد الاخوين على الآخر وجعله سيدا له ، وحاكما قاهرا فوقه ، هو الذي تقوم به حقوق الاخوة وتحفظ به رابطتها ؟ لأجل هذا نرى العقلاء المخلصين من الترك موافقين لاخوانهم من العرب على اللامركزية ومنهم صادق بك رئيس الائتلافيين وموجد الدستور واركان حزبه

التاجر – هذا هو الحق المعقول وان كان بعض وجهاء بلادنا الذين مردوا على النفاق وبعض طلاب المال والجاه من فضلات الاتحاديين يسفهون أنفسهم ويحقرون شعبهم بتفضيل أولئك الخربين عليهم ، ثم انهم يقولون ان كل ما يطلب من الاصلاح باسم اللامركزية يمكن ان يحصل بطريقة أخرى يسمونها « توسيع المأذونية » فما رأي الاستاذ في ذلك ؟

الاستاذ – ان ما يسمونه « توسيع المأذونية » ليس الا توسيعا لنطاق الاستبداد فهو شر من عدمه ، لأنه عبارة عن اذن المركز العام للولاة وغيرهم من الحكام الاداريين أن يتصرفوا في بعض الامور بدون اذن من نظارة الداخلية ، فهو يستلزم قلة المسؤلية والتجرئة على الاستبداد ، ونحن في طور يجب أن تكون المسؤلية فيه شديدة على الحكام لأنهم تربوا على الاستبداد ، والتكبر الذي هو غمط الحق واحتقار

الناس ، وذلك مناف لروح الحكومة النيابية التي هي شكل حكومتنا الرسمي الآن ، وعشاق الاستبداد يرهبون هذه الروح بمثل توسيع المأذونية ، لأنه توسيع لسلطة الشخصية ، وكيف يتفق توسيع سلطة الولاة والمتصرفين فمن دونهم في حكومة ضيق قانونها الاساسي سلطة السلطان الذي أثبت له منصب الخلافة والقيادة العامة ? ، وسترى ما يترتب على ذلك من الفساد

التاجر - بقي عندي سؤال واحد وهو اني سمعت بعض الناس يقول ان اللامركزية ضرورية لا بد منها ، ولكن هذا الوقت ليس وقتا لطلبها لاشتغال الدولة بالحرب ، فما رأيك في ذلك ?

الاستاذ - سمعت مثل هذا الكلام ورأيت أن بعضهم يقوله تزلفا للحكومة الاتحادية وتملقا لأنه لا يجد كلاما يشنع به على طلاب اللامركزية أو الاصلاح على قاعدتها غيرها إما مطلقا وإما كلاما من حوّ القبول عند العقلاء ، ومنهم من يقوله لاشتباه الامر عليه وميله الى قبول كل رأي أو قول في تخطئة من يشغل الدولة عن الحرب ، وشبهة جميع من يقولون هذا القول هي ان الدولة مشغولة بالحرب وهي أهم الامور فلا يجوز ان تشغل [illegible] الذي يجتمع مجلس الامة

وجواب هذه الشبهة [illegible] وان كانت الشبهة زالت بانقضاء الحرب [illegible] (٢) انه لا يقول عاقل ان الحكومات والدول لا تشتغل في أثناء الحرب الا بها وبشؤونها فتعطل لأجلها سائر مصالحها الادارية والسياسية والعلمية والعمرانية ، بل يجب أن تشتغل كل نظارة منها بعملها الخاص وتدع أمور الحرب لنظارة الحربية وما يتعلق منها بالسياسة لمجلس الوكلاء ، ونحن نرى الحرب لم تمنع النظارة الداخلية من الاشتغال بقانون الولايات ومحاولة تنفيذه قبل جمع مجلس الامة وتصديقه عليه ، فكان يمكنها أيضا ان تضع قانونا للادارة اللامركزية وان لم تنفذه موقتا كقانون الولايات

(٢) ان طلاب اللامركزية الذين جعلوا لجنتهم العليا بمصر قد ألفوا لها حزبا سياسيا طلب من حكومة الآستانة التصديق عليه ، وغرضه السعي الى انتخاب أعضاء مجلس الامة (المبعوثين) من الموافقين لرأيه ليقرروه في المجلس ، فأي شاغل للدولة في هذا عن الحرب ! وأي مانع فيه يمنع نظارة الحربية من القيام بما يجب عليها في قتال أعدائها ! وهل كان تقصيرها فيما يجب عليها ناشئا عن اشتغالها بهذا الحزب ! لا لا . وأما طلاب الاصلاح في بيروت والشام والبصرة فقد طلبوا من الحكومة ما رأوه سيجعلوا لبلادهم

ولم يهددوها بثورة ولا عصيان ولا امتناع مما أوجبته عليهم من الضرائب والعشور ، بل لم يجتمعوا أولا لطلب الاصلاح الا باذن الحكومة ! فهل يقول عاقل ان هذا يشغل الدولة عن الحرب أو يمنعها من الاستعداد لها ؟

(٣) لو ان اللامركزيين وطلاب الاصلاح ألفوا جمعية سياسية فدائية كجمعية الاتحاد والترقي ، وحاولوا ان يتوسلوا الى نيل مقصدهم الجليل بكل ما تبيح التوسل به جمعية الاتحاد والترقي الثورية الى مقاصدها لما كان لهذه الجمعية وانصارها والمنافقين لها ان يكونوا هم الذين يدعون الحق في لومهم ، فاذا كانت الجمعية استباحت لنفسها ان تهجم بزعنفة من الاشقياء والجهلة الاغبياء على الباب العالي وتسقط حكومة الدولة العليا بقوة السيف والنار وتستحل قتل ناظر الحربية وقائد الجيش العام – واستحلاله كفر بالاجماع – ولم تكن الحرب مانعة لها من هذه الجريمة التي لها أكبر تعلق بالحرب ، فماذا نزعم ان مثل ذلك بل ما هو دون ذلك وأبعد منه عن الشغب وعن مخالفة الشرع والقانون جريمة لا تغتفر ؟؟

من أمعن النظر ومحص الحقيقة ظهر له ان طلاب الاصلاح قصروا لأنهم لم يغتنموا فرصة اشتداد الحرب [illegible] في السنين الطوال وايقاعهم بها لم تغفل باختيارهم الا [illegible] البلاد [illegible] وكانت كمن يقاد الى الجنة بالسلاسل (كاووره) والتمست ما يتقى من مناظرة الاجانب ، ولم يكن لعملهم ادنى تأثير ضار لها في الحرب . ولكنهم بالغوا في الهدوء والسكينة ، وهم ينتظرون ما يدعي المعترضون انه الصواب ، وسترى ان الصلح يتم قبل ان يعملوا عملا ما ، ويخشى أن يبادر الاتحاديون المتفرنجون في أثناء الصلح وعقبه الى بيع مرافق البلاد العربية وغيرها للدول الكبرى الطامعة فيها باعطائهم الحقوق والامتيازات وتوسيع دائرة نفوذهم ، بل وبوضع ادارتها تحت مراقبتهم ، وهو ما تطلبه الدول وتسميه الفتح السلمي ، وعلى هذا الوجه باع حقي باشا طرابلس الغرب لايطالية فاشتغلها الغرور قبل التنفيذ وبعد مقدماته باخلاء البلاد من العسكر والسلاح الى محاولة اخذها بالفتح الحربي ، وهذا السمسار يطوف العواصم الآن لاجل البيع ، ولو نجح طلاب اللامركزية لامتنع عليه هذا البيع لأن برامجهم لا تجوز اعطاء امتياز فيها ، ولا بيع شيء منها ، ولا انشاء الاعمال العمرانية الا باقرار مجالس الولايات العمومية فالآن يسهل على مندوب من جمعية الاتحاد ، ان يسمسر ويعقد بيع البلاد ، فأي الامرين يخشى ان تضيع به المملكة ويأخذها الاجانب أليست هي المركزية التي نحن فيها ؟ بل فهل ترى بعد هذا البيان ان طلاب اللامركزية ملومون ، وأن المعترضين عليهم مصيبون ؟

التاجر – لالا واني أشكر لكم أيها الاستاذ بيانكم والسلام عليكم (وانصرف)

نظرة

﴿ في كتب العهد الجديد وفي عقائد النصرانية ﴾

(تابع ما قبله)

هذا واشتهار هذه الاناجيل بعد ذلك في أواخر القرن الثاني أو أوائل الثالث لم يمنع النصارى من محاولة تحريفها هي وغيرها من كتبهم في بعض الاماكن التي لم ترق لهم أو التي كثر انتقاد الناس عليها كعبارة لوقا في تعزية الملك المسيح (٢٢: ٤٣) (راجع كتابنا دين الله ص ٨٠) وكساعة الصلب في انجيل يوحنا (١٩ : ١٤) جعلوها في بعض النسخ « الثالثة » بدل السادسة (١) وغير ذلك كثير (راجع أيضا رسالة الصلب ص ١٦٢ وكتاب دين الله ص ٧٦ - ٧٨) وعبارة انجيل لوقا المشار اليها هنا تدل على أن كاتبه اما أنه ما كان يعتقد في المسيح الألوهية الحقيقية كباقي زملائه كتبة العهد الجديد (أعمال ٢: ٢٢) وإما أنه لم يقدر الله حق قدره فلذا قال هذه العبارة والوجه الاول هو الراجح عندنا كما سبق بيانه

(١) ذهب بعض مفسريهم الآن لرفع الخلاف بين انجيل يوحنا ومرقس (١٥: ٢٥) في ساعة الصلب الى أن ساعة يوحنا رومانية وساعة مرقس عبرية وقد رددنا على هذه الدعوى في رسالة الصلب (ص ٩٣ و ٩٤) ونزيد الآن أن الباحثين في تواريخ الأمم قد عرفوا خطأ هذه الدعوى مطلقا فان الرومانيين لم يكونوا يعدون ساعاتهم كما يعدها الافرنج الآن وانما كانوا يعدونها من شروق الشمس واليهود من الغروب كالعرب (راجع كتاب « التوراة غير موثوق بها » تأليف Walter Jekyll) ص ٨٦ . وعليه فتفسيرهم هذه المسألة منقوض من أوله الى آخره ومبني على الخطأ والجهل والتمسك بالخاطر في عادات الأمم . ومادامت كتبهم مملوءة بالخطأ والتناقض والتحريف والتبديل والزيادة والنقصان في المسائل الطفيفة وغير الطفيفة وما داموا يعللون بخطأ النساخ الكثير فيها بل بالزيادة عمدا حتى في بعض العقائد المهمة (كما في رسالة يوحنا الأولى ٥: ٧ و ٨) فكيف بعد ذلك يمكنا أن نثق بشيء فيها أو نجزم بأنه من قول المسيح أو تلاميذه وأنه لم يزد غلطا أو عمدا وخصوصا لأن أقدم ما عندهم من النسخ لا يتجاوز في قولهم القرن الرابع (راجع كتاب صدق المسيحية لمؤلفه Turton ص ٣٠٩ و ٣١٠) ولا أدري لماذا كان الله يريد أن يكون هذه الكتب هداية للبشر في كل زمان ومكان الى يوم القيامة ثم لم يصنها عن كل ما حصل لها وما وقع فيها حتى تشكك نفوس الناس فيها وخصوصا أهلها الذين أصبحوا أشد الناس عداوة وانكارا لها فدل أن الله لم يرد ذلك وانما جعلها درجة تحضيرية تمهيدية للقرآن المصون من التحريف والتبديل (كما وعد تعالى في (١٥: ٩)) والباقي الى يوم القيامة (انظر كتاب دين الله ص ٨٢ و ٨٣) فما حفظه الناس من تلك الكتب انما كان كافيا لهم الى زمن القرآن

ومن العجيب ان المحرفين قد يضعون بعض عبارات من عند انفسهم كما في انجيل مرقس (١٦ : ١٧ و ١٨) وينسبونها المسيح كذبا وإن أوقعهم ذلك في اشكال عظيم مادام في علمهم هذا تطبيق لنبوات قديمة على المسيح وأتباعه فان هذا هو أكبر مقاصدهم بل مقصدهم الوحيد في كل مايكتبونه عن المسيح حتى أعماهم عن كل شيء آخر . ألا ترى أن كاتبي انجيل متى ومرقس زعما أن المسيح صرخ وهو مصلوب قائلا « إلهي إلهي لماذا تركتني » (مت ٢٧ : ٤٦ ومر ١٥ : ٣٤) رغبة منهما في تطبيق المزمور (٢٢ : ١) عليه ونسيا أن مثل هذا الصراخ يدل على العجز والضعف واليأس والقنوط من رحمة الله وعدم الرغبة في تضحية ذاته في سبيل خلاص الناس . ولكن رغبة الانجيليين في تطبيق نبوات اليهود على المسيح أنستهم كل شيء آخر ، وكذلك ادعى متى ركوب المسيح الأتان والجحش معا حينما دخل أورشليم تطبيقا لنبوة زكريا عليه [illegible] كما سبق بيانه ، وتراهم مثلا يقولون في انجيل مرقس وغيره (مثل يو ١٤ : ١٢) ان الذين يؤمنون بالمسيح يخرجون الشياطين باسمه ويتكلمون بألسنة جديدة ويحملون الحيات ولا تضرهم السموم ويشفون المرضى مع ان هذه الاشياء لا نرى احدا منهم الآن يقدر على فعلها ، وإن زعموا أنها خاصة بتلاميذه مع أن النص عام ، قلنا : ولماذا لا تشاهد هذه الآيات والمعجزات الآن مع شدة احتياج العالم اليها وامتلاء قلوب العالمين بالشك في الدين المسيحي على الخصوص وكثرة الطعن فيه وتكذيبه حتى ممن كانوا أتباعه ؟

ولو جاز اتخاذ مثل هذه العبارات دليلا على أن الانجيليين ومن عاصرهم كانوا يرون بأعينهم المعجزات تعمل في زمنهم على يد تلاميذ المسيح ، لجاز أيضا أن يقال انهم كانوا يرون الجبال تنتقل من مكانها وتنطرح في البحر بل كانوا يرون ماهو أكبر من ذلك يحصل بكلمة أي رجل منهم ولو كان إيمانه ضعيفا كحبة الخردل كما قالوا في اناجيلهم (مت ١٧ : ٢٠ ومر ١١ : ٢٣ ولو ١٧ : ٦) مع أنه لم يشاهد أحد منهم شيئا من ذلك قطعا ولا انتقلت الجبال ولن تنتقل بأضعف الايمان ولا بأكمله ، فلم اذاً نسبوا هذه العبارات للمسيح وخطؤها واضح لا يحتاج الى دليل ؟ ألا يدل ذلك على أنهم كانوا يخترعون ولا يبالون ، والناس لجهلهم يصدقون ؟ !

واذا صح قول المسيح ان حبة خردل من الايمان تفعل كل شيء . فكيف بعد ذلك مباشرة (مت ١٧ : ٢١) اشترط الصلاة والصوم لاخراج شيطان (!!) من شخص قدم لتلاميذه ألم ينجحوا في اخراجه منه ؟ ألم يكن عندهم قدر حبة خردل من الايمان ؟ وان كانت عندهم فلم إشترط اذاً الصلاة والصوم وهو القائل قبل ذلك ان حبة الايمان كافية لكل عمل حتى لايكون شيء مستحيلا[1] مع وجودها ؟!

أما السبب عندنا في نسبة مثل تلك العبارات للمسيح فهو أيضا ورودها في النبوات القديمة كما ذكرنا وتوهم الكاتب بدون بحث ولا تحقيق ـ لشيوع الجهل إذ ذاك ـ قدرة الناس على هذه المعجزات لكثرة ادعائهم لها في تلك الأزمنة بشيء من الشعوذة أو التأثير العصبي على عامة الناس ليثبتوا صدق النبوات الماضية القائلة بحصولها في زمن المسيح وزمن أتباعه[2] فامتلاؤهم بروح القدس وتكلمهم

(١) قارن عبارة المسيح هذه بقول القرآن (فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا) وغيرها كثير [illegible] ولا تغيير [illegible] [illegible] يسوع ابن الانسان .

(٢) جاء في [illegible] الاول وأوائل الثاني يشفون المرضى باسم (يسوع) [illegible] العهد الجديد انهم كانوا يخرجون الشياطين باسمه . فهذه الاوهام كانت منتشرة بين الناس في تلك الازمنة القديمة حتى كان اليهود أيضا يخرجونها باسم « سليمان » والى الآن نرى بعض عامة المسلمين يدعون الكرامات ويعملونها باسم مشايخهم كالرفاعي وغيره فيأكلون النار ويضربون أنفسهم بالسيف ويشربون السموم ويحملون الحيات بأسمهم الى غير ذلك من كراماتهم التي تشبه ما ذكر في العهد الجديد عن النصارى . ومع أن النصارى كانوا يستعملون اسم (يسوع) لاخراج الشياطين على زعمهم (أنظر مثلا أع ١٦ : ١٨ و ١٩ : ١٣ ـ ١٧) نراه هو نفسه يعترف بأنه انما يخرجهم بروح الله (مت ١٢ : ٢٨) بأن كل أعماله هي باسم الله (يو ١٠ : ٢٥) وكان اليهود المعاصرون له لشدة جهلهم يقولون أنه يخرجهم ببعلزبول رئيس الشياطين (مت ١٢ : ٢٤) لأنهم كانوا يظنون أن الامراض التي كان عليه السلام يشفيها هي ناشئة عن الشياطين .

فأمثال هذه الاوهام شائعة بين الناس الجهلة في كل زمان ومكان وخصوصا في الأزمنة القديمة حتى صدقها بعض الخاصة كيوسيفوس المؤرخ الشهير الذي روى أنه شاهد شخصا يسمى اليعزر (Eliezer) اليهودي يخرج الشياطين والشعوذيها باسم « سليمان » في حضرة الامبراطور فسباسيان الذي توج سنة ٦٩ م (Vespasian) وبحضور أولاده وجيشه . وكان هذا الرجل يضع الماء محلوء بالماء بعد من الشباب ثم يأمر الشيطان بقلبه بعد خروجه من الانسان وبذلك كل الظهر ـ كما يقول يوسيفوس ـ واقعة سليمان وحكمته . والى الآن نرى بعض النساء في مصر حتى المسلمات يزرن صورة مارى جرجس وغيره في الكنيسة والمعابد لقد يزورون بعض قبور أولياء المسلمين أيضا والسكل يزعمن أنهن شفين من أمراضهن وأوجاعهن وخرجت عاريتهن

بألسنة جديدة قال عنه يوئيل (٢ : ٢٨ ـ ٣٠ راجع أيضا أع ٢: ١٦ـ١٩) وعدم أذية الحيات وغيرها لهم وسلامتهم من كل سوء ذكره كتاب أشعياء (١١ : ٨ و٦٥: ٢٥) والمزامير (٩١ : ١٣) وغيرهما وشفاؤهم المرضى ذكره أشعياء أيضا (٢٩ : ١٨ و٣٥ : ٥ ـ ١٠) ولما كانت أغلب هذه الامراض عندهم ناشئة عن تأثير الشياطين فلا عجب اذاً اذا جعلهم كتاب الاناجيل قادرين على اخراج الشياطين أيضا. والحق ان سفر أشعياء هذا هو أعظم مصدر لقصص وعبارات العهد الجديد فجل ما حكوه فيه نجد أن الحامل لهم عليه هو تطبيق عبارات أشعياء على المسيح وعلى أتباعه ولو لم يقدروا على عمل شيء من ذلك الآن لاقناع الشاكين منهم في دينهم. وزيادة هذه العبارة في مرقس (١٦ : ٩ ـ ٢٠) مسلمة عند كثير من علمائهم حتى من أشد المدافعين عن المسيحية المتعصبين لها كترتون (Turton) مؤلف كتاب «صدق المسيحية» «The Truth of Christianity» (ص ٣٨٧ منه) فرغبة كتاب العهد الجديد في تطبيق هذه النبوات القديمة كان أعظم [illegible] ووقوعهم في الغلط الكثير الذي ملأ أكثر كتبهم [illegible] هذه الغلطات مع كثرة تلاميذهم في كتبهم [illegible] خصومهم لها من قديم الزمان وتعييرهم بها فلا يمكنهم والحالة هذه اصلاحها (٢) شيوع الجهل بينهم في الازمنة القديمة واعتقادهم أن الايمان يدون بحث ولا تعقل فضيلة، وقلة عدد نسخ كتبهم وعدم ضم بعضها الى بعض كما هي الآن وقلة المطلعين عليها حينئذ فلم ينتبهوا لهذه الغلطات إلا بعد ان وقف عليها الناس وعرفوها وحفظوها عليهم في كتبهم فلا يصح جعل هذه الغلطات ـ كما يفعل بعضهم الآن ـ دليلا على أمانتهم في النقل فكم من غلطات غيرها حاولوا إصلاحها أو أصلحوها فعلا لعدم شهرتها وعرف ذلك أخيرا كما بينا بالمراجعة والبحث في النسخ الحديثة والقديمة والكتب الاخرى غير المقدسة التاريخية والتفسيرية وغيرها ولولا خوف الفضيحة والعار لأصلحوا كل غلطات كتبهم الآن ليستريحوا من كثرة القيل والقال، ومع ذلك يتجدد لهم فيها كل حين تنقيح وتصحيح، وأخذ ورد، وتسليم ورفض، ولم يستقروا في أمرها على حال الى الآن

« تلاميذ المسيح المسمون بالرسل (١) وبولس »

هؤلاء التلاميذ هم اثنا عشر رجلا : ثمانية منهم لم يكتبوا شيئا كما يقول النصارى وهم اندراوس ، ويعقوب ، وفيلبس ، وبرتولماوس ، وتوما (٢) ، وسمعان القانوني ويعقوب بن حلفي ، ويهوذا الاسخريوطي ، وهاك خبر الاربعة الباقين :-

(١) بطرس لم يكتب سوى رسالتين وكان ضعيفا ولذلك انكر المسيح وقت الصلب من شدة الرعب والجبن وسماه المسيح من قبل ذلك شيطانا (مت ١٦ : ٢٣ ومر ٨ : ٣٢) وكان يرائي اليهود في انطاكية حتى زجره بولس (غلاطية ٢ : ١١-١٤) فاذا سلم انه هو الكاتب للرسالتين المنسوبتين اليه فلا ثقة لنا به وخصوصا لان بولس كان يؤثر عليه كثيرا . وأما تسمية المسيح له بطرس (أي الصخرة) فالظاهر أنها كانت في أول الامر عند ابتداء ايمانه كما في يوحنا (١ : ٤٢) أي قبل أن يحصل منه ما حصل فكان عيسى عليه السلام يحسن به وبغيره الظن كما هو شأن المعلمين الصالحين [illegible] حتى وعده بالجنة (مت ١٩ : ٢٨) هذا [illegible] بطرس . وأما قصة بناء

(١) يرى بعض علمائنا أن كلمة (الحواريين) في القرآن هي معربة عن الحبشية ومعناها فيها (الرسل) أو (الرسولون) [illegible] القرآن اما بحسب العرف الجاري في ذلك الزمن بين نصارى العرب كما تسمى الآن [illegible] (بالبطريق) واما لان المسيح أرسلهم في حياته لدعوة اليهود الى الشريعة كما في الاناجيل (راجع مت ١٠ : ١-١٥ ولوقا ٩ : ١-٦ و ١٠ : ١-١٢) وأمثاله كل رسول الله صلى الله عليه وسلم يرسل بعض أصحابه الى بعض الجهات [illegible] الدين [illegible] بينهم وغير ذلك كما في قول [illegible] أرسله الى اليمن ويقال يسمون أيضا « رسل رسول الله » [illegible] القرآن هذه الكلمة الحبشية دون مرادفها بالعربية [illegible] تلاميذ المسيح المتازين من أصحاب عيسى والظاهر من نصوص القرآن أن ايمان بعضهم (على الاقل) لم يكن كما يجب وخصوصا [illegible] وأن الخلاف [illegible] (راجع [illegible]) [illegible] كاتباع أسلافهم قوم موسى ، بل [illegible] المسيح [illegible] لم يكن [illegible] ايمان مطلقا (مت ١٧ : ٢٠) وقال لبطرس أيضا (مت ١٤ : ٣١) « يا قليل الايمان » مع أنه أعظمهم ، فما بالك بغيره !!

(٢) يقال ان توما هذا سافر الى جزائر الهند الشرقية ومات هناك (قاموس يوسف خطار ص ٢٩٥) [illegible] عليه السلام في [illegible] القديمة التي ذكرناها في مقالة الصلب (١٥٣ و ١٥٤) ، وتوما هذا هو التلميذ الوحيد بحسب الاناجيل الحالية (يو ٢٠ : ٢٥) الذي [illegible] عبادة المسيح ، [illegible] ذكر معجزة خلق الطير طينا وغيرها مما ذكره القرآن ولكن النصارى يرفضون هذا الانجيل

الكنيسة عليه واعطائه مفاتيح الملكوت (مت ١٦: ١٨و١٩) فلا رجيح أنها كغيرها من تاريخ بطرس زيادة من رؤساء الكنيسة الاقدمين في هذا الانجيل ليحتجوا عليها بسلطتهم التي كان منها ما كان مما لا ينساه تاريخ النصرانية من سفك الدماء وظلم الابرياء ودعوى القدرة على غفران الذنوب للناس وغير ذلك . ومع كون هذه القصة لا تتفق مع تسميته بعدها مباشرة بالشيطان لم تذكر في انجيل آخر غير متى فالظاهر أن المحرفين خافوا الفضيحة فاقتصروا على اضافتها في انجيل واحد ليتيسر ذلك من اضافتها في الكل وكما هي عادتهم غالبا في التحريف ليقال « انهم لم يمسوا الكتب بسوء وإلا لاضافوها في الجميع » كما يقول بعض مبشريهم الآن

(٢) متى روي انه جمع بعض أقوال المسيح بالعبرية وما جمعه مفقود الآن كما سبق

(٣) لاوس المسمى يهوذا كتب رسالة واحدة ليس فيها شيء يذكر من عقائدهم وفيها يستشهد بكتب غير قانونية عندهم (أبو كريفية) (عدد ٩ و١٤) . ومن مضحكات براهين النصارى أنهم اذا وجدوا في بعض الكتب القديمة قولا من أقوال المسيح شبيها [illegible] من أناجيلهم واتخذوا ذلك دليلا على وجود هذه الاناجيل [illegible] وعلى صحة نسبتها الى من نسبت اليهم ، ولا أدري لماذا إذاً رفضوا كتاب أخنوخ وقالوا انه موضوع مكذوب مع أن يهوذا (وهو موحى اليه عندهم) قد ذكره في رسالته هذه واستشهد به ونص على ان أخنوخ هو القائل للعبارة التي استشهد بها فلماذا إذاً خالفوا طريقتهم في الاستدلال على صحة هذا الكتاب ؟!!

(٤) يوحنا وانجيله مشكوك فيه كما بينا وقد زادوا في إحدى رسائله أصرح عبارة عندهم في عقيدة التثليث (١ يو ٥: ٧) فاذا سلمنا صحة نسبة هذه الكتب الى يوحنا فكيف تأمن أن يكونوا حرفوها كما حرفوا هذه العبارة ؟ ومن أين لنا صدق هذا الرجل وعصمته من الخطأ وما الدليل على أنه موحى اليه ؟ وفضلا عن ذلك فهو لم ينص على الألوهية الحقيقية للمسيح كما بيناه ولو سلم أنه دعا الناس اليها لاستحق القتل بنص التوراة (تث ١٣ : ٥) ولو كان مؤيدا بالمعجزات فما بالك وهو لم تثبت له ولا واحدة باليقين

ومما تقدم تعلم أن الرسل لم يكتبوا شيئا هاما عن تاريخ المسيح وتعاليمه !! فهل كتبوا شيئا غير ذلك لم يصل الينا ؟ لا ندري . ولماذا تعرض للكتابة سواهم من تلاميذ بولس ومريديه ؟ حتى انك ترى أن جل العهد الجديد ليس من عمل تلاميذ المسيح بل هو عمل بولس ومريديه !!

واذا تذكرنا مشاجرة بولس مع برنابا (أع ١٥ : ٣٩) مع أنه هو الذي قدمه للرسل وجعلهم يثقون به (أع ٩ : ٢٧) وعدم وصول شيء لنا من برنابا تثق به النصارى الآن مع أنه كان شريك بولس والمخصص معه لدعوة الامم غير اليهودية الى المسيحية (غل ٢ : ٩) ووصول جميع كتابات بولس وذيوله [1] (تلاميذه) الينا واتهام بولس لبطرس في أنطاكية وكلام بولس القارص وتحامله وبغضه لأكثر تلاميذ المسيح كما هو صريح عباراته في رسالته الى أهل غلاطية (أصحاح ١ و ٢) وتهكمه بهم وترفعه عليهم (غل ٢ : ٦ و ٢ كو ١١ : ٥ و [illegible]) اذا تذكرنا كل ذلك تبين لنا كيف كان هذا الرجل مستبدا فيهم [illegible] الى اليوم مستأثرا بهذا الامر دونهم مع أنه لم ير المسيح [illegible] له ولمن اتبعه طول حياته . ثم انه كان يناقض [illegible] في سفر الاعمال حينما سمع صوت يسوع ورآه كما يزعم (راجع أع ٩ : ٦ ــ ٨ و ٢٢ : ٩ و ٢٦ : ١٣ ــ ١٨) وكذلك يناقض برسالته الاولى الى أهل تسالونيكي سفر الاعمال (قارن أع ١٧ : ١٤ ــ ١٦ و ١٨ : ٥ مع ١ تس ٣ : ١ ــ ٢) وأيضا فان عباراته في غلاطية (١ و ٢) تناقض أخباره الواردة في سفر الاعمال المذكور كما بينه (رينان) بالتفصيل في كتابه عن الرسل (صفحة ٣١ و ٣٢ منه) وذلك لتقلب هذا الرجل وتلونه فهو كما يقول عن نفسه يهودي لليهود (انظر أع ٢١ : ١٨ ــ ٢٦ و ١٦ : ١ ــ ٣) ونصراني للنصارى ووثني للوثنيين (أنظر ١ كو ٩ : ١٩ ــ ٢٣) ليروج الجميع لمذهبه وتعاليمه التي يسميها الانجيل ، والظاهر من رسائله أنه كان له انجيل مخصوص يدعو الناس اليه ويزعم أن الله

(١) حاشية : لاحظ أن هذا الكلام وما يأتي مبني على فرض صحة نسبة هذه الكتب الى من نسبت اليهم كما فرضنا ذلك في مقالة الصلب . ولكن بعض علماء النقد في أوروبا يرى الآن أن جل هذه الكتب أو كلها منسوب الى هؤلاء الناس كذبا كصاحب كتاب « مصادر النصرانية » المستر توماس ويتاكر وغيره عديدون من محققي الافرنج

سيدين سرائرهم يوم القيامة بحسب هذا الانجيل (رو ٢: ١٦ و١٦: ٢٥ و٢ تي ٢: ٨) ولا ندري ما هو هذا الانجيل؟ وأين ذهب؟ وقال انه كان غير انجيل تلاميذ المسيح المسمى بانجيل الختان (غل ٢: ٧) ـ أي أن تعاليمه كانت خلاف تعاليم موسى وعيسى ـ وأنه وحده أؤتمن على هذا الانجيل (١ تي ١: ١١) فهو في الحقيقة الكل في الكل وجميع العهد الجديد هو مؤلفه إما بنفسه أو بيد تلاميذه وشيعته كمرقس ولوقا. الا القليل جداً منه وقد قضى على كل عمل انبوه تقريبا من أعمال التلاميذ الآخرين الا الذين وافقوه على آرائه وشايعوه وهما بطرس ويوحنا على أن يوحنا قد ذمه تلميحا بعد موته في سفر الرؤيا ولم يجاهر بذلك خوفا من أتباعه الكثيرين من الامم (رؤ ٢: ٢ و٩ و١٤ و٣: ٩) هذا اذا صح ان يوحنا هو الكاتب لسفر الرؤيا. واما الذين تجاهروا بمخالفته من الحواريين فكان يذمهم ويدعي انهم يريدون تحريف الانجيل (غل ١: ٧) وانهم دخلاء في المسيحية (غل ٢: ٤) مع أنه هو الدخيل فيهم(١). ومن شدة تأثيره في الناس في ذلك الوقت ولعبه بعقولهم أنه تشاجر مع برنابا وانفصل عنه مرقس (أع ١٥: ٣٩)

(١) قال الابيونيون [illegible] وهم من النصارى المتقدمين في القرن الاول والثاني [illegible] ان بولس لم يكن يهوديا وكذبوه في هذه الدعوى التي ادعاها عنه من لم يعرفه في رسالته لهم وقالوا انه دخل في اليهودية لينال الزواج ببنت رئيس الكهنة واختتن لذلك فأبى رئيس الكهنة أن يزوجه ابنته فدخل في المسيحية وادعى أنه رسول المسيح الى النصارى ثم بحث أن يرى في النصرانية أثراً من آثار الديانة الموسوية ولذلك سعى جهده في اخراج المسيحيين عن الناموس ومثل على كل من قاومه (راجع رسالته الى أهل غلاطية) وأبطل جميع شرائع موسى وتبعه الامم الداخلون حديثاً في المسيحية في ذلك لان ذلك كان أسهل بكثير من عبء الناموس (أنظر كتاب دين الخوارق صفحة ٢٢٨) وبقي تلاميذ المسيح والنصارى الاولون محافظين على تعاليم موسى وعيسى ولذلك قال يوحنا في رؤياه ٢: ٢ (وقد جربت القائلين أنهم رسل وليسوا رسلا فوجدتهم كاذبين ٩ وتجديف القائلين انهم يهود وليسوا يهودا بل هم مجمع الشيطان ١٤ ان عندك هناك قوما متمسكين بتعليم بلعام الذي كان يعلم بالاق أن يلقي معثرة أمام بني اسرائيل أن يأكلوا ماذبح للاوثان ويزنوا) والمراد بالزنا هنا عدم مراعاة الوثنيين أحكام الشريعة الموسوية في مسائلهم الزوجية وعدم اعتدادهم بها. والظاهر أيضاً ان كاتب رسالة يعقوب كان من اليهود المتنصرين أو بعبارة أخرى كان من هؤلاء الابيونيين ولذلك خالف في رسالته هذه (ص ٢) بولس في دعواه الخلاص بالايمان وحده (أنظر مثلا رومية ص ٣ و٤ وغلاطية ٢: ١٦ و٢١ و٣: ٢٣ ـ ٢٩) وبين صاحب رسالة يعقوب أن العمل الصالح لا بد منه مع الايمان (أنظر ٢: ١٤ ـ ٢٦) ولم يذكر في هذه الرسالة شيء من عقائد النصرانية المعروفة وكون هذا الكاتب من الابيونيين (الفقراء) ظاهر من عدة مواضع من رسالته هذه (مثل ١: ٩ ـ ١١ و٢: ٢ ـ ٧ و٥: ١ ـ ٦) والراجح ان الكنيسة (غالبا ـ كنيسة [illegible]) ـ الا بعد بولس بمدة وربما كان غيرها فرقة في ضم أخفاها اليوم

الكنائس بعدم قبول مرقس اذا جاءهم واعظا ولما صالحه أرسل اليهم بقبوله ، فكانوا طوع أمره دون غيره من الرسل ، ومما يدل على ذلك قوله في رسالته الى أهل كولوسي ٤ : ١٠ (ومرقس ابن اخت برنابا الذي أخذتم لأجله وصايا . ان أتى اليكم فاقبلوه) ولولا هذه العبارة لما قبل مرقس أحد وربما ما كان يبقى الانجيل المسمى باسمه الى اليوم كما حصل لتلاميذ المسيح الذين أطفأ ذكرهم ولم يبق أحد لهم على اثر او خبر وخصوصا الحافظين منهم على تعاليم موسى وعيسى وهم الذين كانوا قدوة لبعض الفرق القديمة كالابيونيين والناصريين وغيرهم والذلك ذم ذما شنيعا في الخطب المنسوبة الى اكليمندس الروماني

ومما انفرد به عن سائر الناس قوله (١ كو ١٥ : ٦) في قيامة المسيح من الموت (وبعد ذلك ظهر دفعة واحدة لاكثر من ٥٠٠ أخ أكثرهم باق الى الآن ولكن بعضهم قد رقدوا ـــــ ٨ وآخر الكل كأنه للسقط ظهر لي أنا) ولا ندري ولا غيرنا يدري من أين له هذا الخبر خبر ظهوره لخمسمائة شخص ومتى وكيف كان ذلك ومن هم وأين ظهر لهم المسيح ؟

وهل رأوا شخصه أو رأوا نورا وبرقا فظنوه المسيح كما ظنه بولس (قارن أع ٩ : ٣ و٤ و٧ و٢٢ : ٩ مع ١ كو ١٥ : ٨) وما دام بولس لم يبين أسماء هؤلاء الاشخاص الخمسمائة أو بعضهم فما فائدة قوله « أكثرهم باق الى الآن » فمن من الناس اذ ذاك يمكنه أن يكذبه وهو لم يذكر اسم أحد معين ؟ وكيف يتيسر لاهل كورنثوس أن يسألوهم وهم بعيدون عنهم ولا يعرفونهم على التعيين ؟ واذا سألوا بعض المسيحيين عن ذلك في ذلك الوقت فهل نضمن أن لا يحملهم حب تأييد دينهم والرغبة في الظهور والتشرف بهذه الرؤية والاغراب في القول على الاخبار بما لم يبصروه أو تقرير ما لم يوقنوا به ؟

واذا تذكرنا كثرة الكذب الآن في نقل أخبار البلاد القريبة منا والبعيدة عنا مع توفر جميع الوسائل عندنا لنقلها الينا (كالجرائد وغيرها) ومع سهولة المواصلات وسرعة نقل الاخبار بطرق مدهشة خارقة لعادة تلك الازمان وارتقاء

الناس في العلم والعقل - اذا تذكرنا كل ذلك أدركنا كيف تكون حالة الاخبار في ذلك الزمان وبعدها من الصدق وخصوصا أخبار مثل تلك الغرائب والعجائب. وهل يبعد على أهل تلك الازمنة أن يكونوا هم الذين اخترعوا هذه العبارة ونسبوها الى بولس بعد زمنه كما هي عادتهم والا اذا كان هذا الخبر صحيحا فكيف تركته جميع الاناجيل مع أنه من الاهمية بمكان عظيم كما لا يخفى؟ واذا كان هذا الجم الغفير كله رأى المسيح فكيف لم يرو هذا الخبر أحد منهم مطلقا في الاناجيل أو في الرسائل أو غيرها وبقي سرا مكتوما بينهم حتى أفشته رسالة بولس هذه؟ وان كان هذا الخبر وصل بولس بالوحي فلم لم يوح به الى غيره ليدونه؟ وما هذا الوحي الذي يكثرون من ادعائه لكل نصراني في القرن الاول؟ واذا كانت روح القدس توهب لكل شخص من المؤمنين (أع ٨: ١٤-٢٠ و ١٩: ١-٧) بمجرد وضع اليد عليه فما حاجة الناس إذًا لهؤلاء الرسل الكثيرين وكتاباتهم ورسائل بولس وخرافاته العربية العربضة اذا كانوا كلهم أنبياء ممتلئين من روح الله؟ واذا صح قول النصارى في نبوة دانيال (٩: ٢٤) أنها في حق المسيح فلماذا لم تختم الرؤيا والنبوة به كما قال دانيال فيها؟! وكيف يكون جميع تلاميذ المسيح أنبياء يعلمهم الوحي من الله؟ وما معنى قول سفر الاعمال نقلا عن يوئيل ٢: ١٧ (يقول الله ويكون في الايام الاخيرة أني أسكب من روحي على كل بشر فيتنبأ بنوكم وبناتكم ويرى شبابكم رؤى (جمع رؤيا) ويحلم شيوخكم أحلاما ١٨ وعلى عبيدي أيضا وإمائي أسكب من روحي في تلك الايام فيتنبأون) وهو ينافي ختم الرؤيا والنبوة بالمسيح!! وكيف رأى يوحنا رؤياه المشهورة؟ وكيف صار بولس نبيا موحى اليه من الله بعد المسيح يحل ما يحل ويحرم ما يحرم؟ فهل نسي صاحب كتاب الاعمال نبوة دانيال أم هذه النبوة في اعتقاده ليست في حق المسيح؟ ففي حق من إذًا؟ (١) وكيف كثرت الانبياء الى هذه الدرجة بعد المسيح كما في كتاب الاعمال حتى كان منهم أغابوس وغيره (أنظر أع ١١: ٢٧ - ٣٠ و ١٣: ١-٣ و ٢١: ١٠-١٢) الخ الخ. فلولا عبارة يوئيل السابقة (٢: ٢٨-٣١) في انسكاب روح الله على «كل بشر» وكثرة تنبأ الناس في آخر الزمان لما جعل كاتب سفر

(١) راجع «كتاب دين الله» ص ١٤-٢٨ لتعرف الجواب عن هذا السؤال

الاعمال جميع النصارى لا ولين انبياء ، ولما صاغ كل هذه القصص في نزول روح القدس عليهم وتنبئهم ، فهو في هذه المسألة أيضا لم يخرج عما ألفوه من عادة اختراع الحكايات لتطبيق النبوات عليهم . فهل مثل هذه الكتب يصح أن تعتبر تاريخية يؤخذ بما فيها ويعول عليها وهي كما بينا مرارا لم تخل في كل ما كتب فيها من الاهواء والاغراض ؟ ولماذا لا تنزل عليهم روح القدس الآن ؟ وأين ذهبت معجزاتهم وآياتهم العديدة وقد امتلأت أوروبا وغيرها بالملحدين والمشككين وجماعة العقليين (Rationalists) وغيرهم ؟ ولماذا لا تقدر النصارى على عمل الآيات والعجائب الآن كما وعدهم المسيح على زعمهم بقوله مثلا مر ١٦ : ١٧ (وهذه الآيات تتبع المؤمنين يخرجون الشياطين باسمي ويتكلمون بألسنة جديدة ١٨ يحملون حيات وان شربوا شيئا مميتا لا يضرهم ويضعون أيديهم على المرضى فيبرأون) وما وجه تخصيصهم الآن هذه العبارات ونحوها (كما في يو ١٤ : ١٢) بالحواريين وهي عامة في جميع المؤمنين كما هو ظاهر منها ؟ أليس لأنها لم تتحقق ؟!

وهناك مسألة أخرى تبطل أيضا دعوى بولس السابقة ظهور المسيح لخمسمائة شخص واليك بيانها :

جاء في كتاب (صدق المسيحية) (The Truth of Christianity) في صفحة ٣٨٥ منه ما مؤداه (أن ظهور المسيح لهؤلاء الخمسمائة كان في الجليل لأنه لم يكن في أورشليم قدر هذا العدد من التلاميذ كما يفهم من كتاب الاعمال ١٥:١) اه وهذا الرأي هو المعول عليه عند جميع علماء المسيحية وهو مبني على قول متى (٢٨ : ١٠) ان المسيح أرسل الى تلاميذه أمرا بالذهاب الى الجليل لكي يروه هناك (راجع أيضا مرقس ١٦ : ٧) ولكن متى نفسه ذكر أن الذين ذهبوا هم الاحد عشر تلميذا (٢٨ : ١٦) وأن بعضهم شكوا حينما رأوه (عدد ١٧) والظاهر من ذلك أنهم رأوه على بعد في الافق ولذلك خرجوا الى الجبل ليرتقبوا ظهوره هناك . فلم يقل متى ولا غيره انهم كانوا خمسمئة . ومع ذلك فرواية الظهور في الجليل هذه منقوضة بقول لوقا ان المسيح في مساء اليوم الذي قام فيه قال لتلاميذه وقال لهم « أقيموا في مدينة أورشليم الى أن تلبسوا قوة من الاعالي »

(لو ٢٤ : ١و١٣ و٢٩ و٣٣ و٣٦ و٤٤ – ٤٩) ثم صعد الى السماء ورجعوا هم الى أورشليم (عدد ٥١ و٥٢) وبقطع النظر عن مناقضة لوقا نفسه في سفر الاعمال حيث جعل الصعود بعد أربعين يوما من أورشليم (أع ١ : ٣ و٩) الا أنه قال إن المسيح أوصاهم أيضا في آخر يوم أن لايبرحوا أورشليم حتى تحل عليهم روح القدس (عدد ٤ و٨) فيستفاد من ذلك أن المسيح من أول يوم الى آخر يوم « أوصى تلاميذه بعدم مبارحة أورشليم الا بعد حلول روح القدس عليهم » وهذه الروح لم تحل عليهم الا يوم الخمسين أي بعد صعوده بنحو عشرة أيام (أع ٢ : ١ – ٤) وعليه فهم لم يبرحوا أورشليم الا بعد الصعود فكيف اذاً قال متى إن المسيح أمرهم بمبارحتها الى الجليل وأنهم هناك رأوه ؟ وكيف يمكن رفع هذا التناقض البين من بينهما ؟ اللهم الا بالتكلف البارد والتعسف الذي لامزيد عليه !! وان كان ظهر لهم في أورشليم فالتلاميذ الذين كانوا فيها وامروا أن لايبرحوها من اول يوم الى آخر يوم كانوا نحو (١٢٠ شخصا) بنص كتاب الاعمال (١ : ١٥) وان قيل لعلهم كانوا ٥٠٠ نفرا و[illegible] كما يزعم بعض الآخرين. قلت وهل يعقل ان تلاميذه هؤلاء الذين رأوه بأعينهم بعد قيامته من الموت يكونون أول العاصين له المخالفين لأوامره حتى أنهم تركوا أورشليم بعد أن شدد عليهم ووصاهم مرتين على الاقل بعدم مبارحتها ؟ وان كانوا غير مطيعين له ولا مبالين بأمره ونهيه بعد كل هذه المعجزات فمن يثق بهم ؟ او يصدق مايقررونه ؟ هذا اذا كانوا شهدوا بأنهم رأوه فما بالك اذا كنا لم نسمع من أي واحد منهم أنه شهد بأن (٥٠٠) شخص رأوا المسيح حقيقة بل لم نسمع من احد من تلاميذ المسيح ولا من غيرهم (خلاف بولس) ان المسيح ظهر لكل هذا العدد من الناس الذين لم يعرفهم احد قط !!

فان قيل لعل المسيح ظهر لهم في الجليل بدون علم احد من التلاميذ الاحد عشر ؟ قلت ومن إذاً الذي جمع كل هذا العدد من الناس في ذلك المكان وعينه لهم واخبرهم بأن المسيح سيظهر فيه وبوقت الظهور مع ملاحظة ان مثل هؤلاء الناس لابد ان يكونوا من الذين يئسوا منه وتركوه بعد حادثة الصلب ورجعوا الى بلادهم شاكين فيه حائرين ، فكيف اذاً اجتمعوا في ذلك الوقت والمكان المعين ؟

ولم لم يرو عن احد منهم خبر هذه الرؤية ؟ ولمْ لم يعلمها المسيح بدون علم اعظم تلاميذه؟ ولم لم يخبر بها الرسل حين ظهوره لهم ؟ ولم لم يخبرهم روح القدس بها بعد نزوله عليهم ليدونوها في الاناجيل ؟ وكيف يقول متى (٢٨ : ١٦) ان الذين ذهبوا الى الجليل ورأوه هناك كانوا هم الأحد عشر رسولا ولم يشر الى غيرهم بل نص على أن بعض هؤلاء أيضا شك في ان الذي رأوه هل هو المسيح أم لا ؟ فكل هـذه الاسباب تحملنا قطعا على رد زعم بولس هذا وعدم الاعتداد به مطلقا

ومن تناقض كتبهم أيضا في هذه المسألة غير ما تقدم قول يوحنا (٢٠ : ٢٢ و٢٣) ان المسيح وهبهم روح القدس في مساء اليوم الذي قام فيه (عدد ١٩) مع قول لوقا إنها لم تنزل عليهم الا يوم الخمسين (أع ١ : ٤ و٥ و٢ : ١ ـ ٤ ولو ٢٤ : ٤٩)

ومن التناقض العجيب أن المسيح يطلب إلا من تلاميذه بعد قيامته أن يجسوه كما في لوقا (٢٤ : ٣٩) مع أن يوحنا يقول إنه منع في الصباح مريم المجدلية من لمسه بعلة أنه لم يصعد بعد الى أبيه واليه (يو ٢٠ : ١٧) وفي انجيل متى (٢٨ : ٩ و١٠) يقول انها هي ومريم الاخرى امسكتا بقدميه وسجدتا له ولم يمنعهما المسيح من ذلك بخلاف ما يقول يوحنا بل [illegible]

وجاء في لوقا (٢٤ : ٣٣) ان الاحد عشر تلميذا كانوا مجتمعين في مساء يوم قيامة المسيح فظهر لهم ووقف في وسطهم (عدد ٣٦) وفي يوحنا (٢٠ : ٢٤) ان توما احدهم لم يكن موجودا في هذا الاجتماع حينما جاء المسيح فلم يكونوا إذًا إلا عشرة لا أحد عشر كما قال لوقا. فانظر الى مقدار تناقضهم في كل شيء حتى في أبسط المسائل لانهم اخذوا ما كتبوه عن الاشاعات المتضاربة والروايات المتناقضة ولم يميزوا بين صحيحها من باطلها فهل مثل هذه الكتب يصح أن يعول عليها ؟ وهي كالثوب الخلق كلما رقعته من مكان اتسع الخرق عليك أو ظهر لك غيره حتى أصبحت بالية لا تصلح لشيء.

ومن كثرة مبالغة بولس واغراقه قوله أيضا ١ كو ١٥ : ٥ (وأنه ظهر لصفا (بطرس) ثم للاثنى عشر ـــــ ٧ وبعد ذلك ظهر ليعقوب ثم للرسل أجمعين) مع أن يهوذا أحدهم كان قد مات في ذلك الوقت ولم تكن الرسل الا أحد عشر

فقط ولذلك قال مرقس ١٦ : ١٤ (أخيرا ظهر للأحد عشر) ولكن رغبة بولس في تكثير عدد الذين رأوا هذه القيامة المزعومة أنسته موت يهوذا فقال ما قال

أما بطرس فلم يرو عنه في انجيل من الاناجيل أنه قال انه رآه أولا وحده غير أن لوقا (٢٤ : ٣٤) قال في انجيله ان اثنين من التلاميذ مجهولين يسمى أحدهما كليوباس قالا (ان الرب قام بالحقيقة وظهر لسمعان) «بطرس» وصريح القصة أن هذه اشاعة نقلاها ولا ندري عمن روياها وكيف سكتت الاناجيل عن رواية هذه الرؤية الاولى لبطرس حتى نفس انجيل لوقا الذي روى قصة كليوباس هذه

أما ظهور المسيح للاحد عشر فلا برهان عليه الا رواية هذه الاناجيل الاربعة التي أظهرنا لك قيمتها وقيمة سندها على انها لم تذكر ذلك رواية عن كل فرد منهم وقد تضاربا الانجيلان المنسوبان الى التلاميذ (متى ويوحنا) في امر هذه الرؤية، ففي انجيل متى ان ملكا قال للمرأتين ٢٨ : ٧ (اذهبا سريعا وقولا لتلاميذه انه قام من الاموات ها هو يسبقكم الى الجليل هناك ترونه – ١٦ فانطلق التلاميذ الى الجليل الى الجبل ١٧ ولما رأوه سجدوا له ولكن بعضهم شكوا) وليس في انجيل متى رؤية أخرى غير هذه وهي التي شك فيها بعضهم (١). اما انجيل يوحنا فانه يذكر انهم رأوه في اورشليم قبل الذهاب الى الجليل مرتين وفي المرة الاولى منحهم الروح القدس (يو ٢٠ : ٢٢) وفي الثانية اقنع توما الذي لم يره في

(١) انجيل متى هو عند النصارى أقدم أناجيلهم الاربعة وليس فيه غير هذا الخبر عن رؤية المسيح بعد الموت كما قلنا في المتن. أما انجيل مرقس فلم يذكر فيه أي خبر عن ظهور المسيح بالفعل لتلاميذه ورؤيتهم له بعد قيامته، وما فيه من ذلك (١٦: ٩–٢٠) انما هو كما قلنا – باعتراف علمائهم الآن – زيادة ألحقها به رجل مجهول في بعض القرون الاولى، فهي لاقيمة لها بالمرة من الوجهة التاريخية. ومن زاد هذه لا يبعد عليه أن يزيد غيرها في الاناجيل الاخرى كعبارة متى المتقدمة. وأما انجيلا لوقا ويوحنا فهما متأخران وما فيهما في هذه المسألة انما هي أقاصيص راجت بين النصارى في القرون الأولى، وهي لاشك مختلقة بدليل أنها لو كانت موجودة في زمن الكاتب للانجيل الاول أو الثاني ما تركاها بالمرة مع أنها في غاية الاهمية عند النصارى بل لا يوجد عندهم أهم ولا أعظم منها لاثبات دعواهم قيامة المسيح من الموت على =

المرة الاولى وكان شاكا فيه وأراه يديه وجنبه حتى صدق كباقي التلاميذ (يو ٢٠: ٢٠ و٢٧) ولا ندري لماذا لم يذكر متى كل ذلك ؟ واذا كان التلاميذ رأوه في اورشليم المرة بعد المرة كما قال سفر الاعمال (١ : ٣) حتى اقتنعوا وزال عنهم كل شك وأعطُوا الروح القدس كما قال يوحنا أي صاروا أنبياء ملهمين فكيف

= ما فيها من التناقض والتضارب الذي بنا مرارا نحن وغيرنا من علماء الافرنج المحققين فليس عندنا اذاً سوى رواية واحدة قديمة تستحق أن يُنظر فيهـا بشيءٌ من العناية وهي رواية انجيل متى فنقول :—

ان كانت هذه الرواية ليست مما أضافوه الى الاناجيل وصادقة فالذي يفهم منها أن ظهور المسيح لم يكن جليا ولا واضحاً ولذلك لم تقتنع به نفس تلاميذه فيجوز أن الذي رأوه كان برقا أو خيالا في الافق كالذي ينشأ مثلا عن انكسار أشعة النور في طبقات الهواء كما هو معلوم في العلوم الطبيعية أو كان شخصاً بعيداً يشبه سائراً في تلك الجبال لم يسهل عليهم الوصول اليه أو وصلوا إلى مكانه وكان الرجل قد غاب عن أعينهم فلم يعثروا عليه ولما لم يحققوا [illegible] بعضهم شك فيه . ومن العجب ان متى مع ذكره ذلك [illegible] عن التلاميذ الشاكون زال عنهم هذا الشك حين قرب منهم [illegible] الشخص الذي نظروه على بعد أم بقوا شاكين بعد ذلك طول حياتهم مصرين على عدم التصديق ؟ وان كانوا اقتنعوا فبماذا اقتنعوا ؟ وهل قرب منهم لدرجة تزيل الشك عنهم فيه أم لا ؟ وكيف فارقهم وأين ذهب ؟ وهل مدة مكثه معهم كانت طويلة أم قصيرة ؟ وما كان موقفه بالنسبة اليهم ؟ وهل كان واقفاً على الارض أم معلقا في الهواء ؟ وهل أمره لهم بتعميد جميع الامم (٢٨: ١٩) سمعه جميع الحاضرين أم بعضهم فقط ؟ وهل تكلموا معه في غير هذه المسألة ؟ وماذا كان موضوع كلامهم الآخر ؟ وهل كان صوته عين صوت المسيح الذي يعرفونه وألفاظه مفهومة أو مبهمة ؟ وهل بقوا ساجدين الى أن فارقهم أم رفعوا أعينهم اليه حينما اقترب وتأملوا فيه ؟ وهل سجد الشاكون معهم أم لا ؟ الى غير ذلك من المسائل التي كان يجب على الكاتب تفصيلها حتى لا تبقى النفوس متعطشة للوقوف على الحقيقة ، شاكة حائرة في أعظم عقائد دينهم . فالظاهر أن الكاتب تجنب مثل هذه التفاصيل لانه كان قريب العهد بتابعي الحواريين وربما أنه خاف أن يكذبه أحد فهو لم يكن عنده من المهارة والجراءة والمعرفة بطباع الناس =

بعد ذلك شكوا فيه لما رأوه في الجليل على ما قال متى (٢٨ : ١٧) الذي يفهم منه أنها كانت أول رؤية لهم ولذلك شك بعضهم فيها !! واذا كان المسيح هو الذي وهبهم روح القدس بنفسه قبل أن فارقهم فما معنى قول انجيل لوقا ٢٤ : ٤٩ وقول سفر الاعمال أن المسيح أوصاهم أن لا يبرحوا أورشليم حتى تحل عليهم وأنها حلت عليهم بعد صعوده يوم الخمسين كما هو صريح الاصحاح الاول والثاني من الاعمال كما سبق بيانه ؟ واذا صح تفسيرهم لعبارة البارقليط التي في انجيل يوحنا وأن المراد بها روح القدس هذه كما يزعمون فما معنى قول المسيح ١٦ : ٧ (لكني أقول

= ما عند غيره ، وأما الاناجيل الاخرى فلم تخش أحداً لان زمنها أبعد عن الوقت الذي قيل ان هذه الحوادث حدثت فيه ولمعرفة كاتبيها بطباع أهل زمنهم أكثر من غيرهم فقالت ما قالت . فيرى من ذلك أن أقدم رواية عندهم يحوم حولها شيء كثير من الشك ، هذا اذا سلم أنها صحيحة صادقة . وأما اذا كانت مخترعة فقول الكاتب فيها (مت ٢٨:١٧) « ولكن بعضهم شكوا » يريد به ــ كعادة المزورين الخداعين ــ أن يظهر للناس أنه فيما يصنعه [illegible] من كل غرض ويقول الحق ولو على نفسه . فهي طريقة من طرق تحسين السبك [illegible] لاحكام تلفيقهم وان كان كاتبنا هذا [illegible] السبك لبساطته وجهله . وأيضاً فانه يريد أن يظهر أن التلاميذ لم يكونوا سريعي التصديق ولا ميالين لاعتقاد هذه المسائل بسهولة بل كانوا مدققين نقادين حتى لم يبالوا بالشك في هذه المسألة ، ولا باظهار شكهم لاخوانهم الذين يريد الكاتب أن يصورهم بأنهم كانوا أحرار سمحاء في معتقدهم يجادلون خصومهم بكل أناة وعقل ويقنعونهم بالحق والدليل . فمن اقتنع منهم بشيء فهو لم يقتنع به ــ كما يريد الكاتب أن يقول ــ الا بعد التثبت والتحقق منه بالبحث والفحص فهذه القصة هي كقصة شك توما واقتناعه بعد ذلك المذكورة في انجيل يوحنا ٢٠ : ٢٤ ــ ٢٩ . فان المراد بهما في الحقيقة التلاؤم في بيان تدقيق التلاميذ بطريقة خفية وحيلة ثانوية معتادة لا تدخل الا على البسطاء المغفلين . ولذلك ترى المبشرين الآن وفي كل زمان يتخذون مثل هذه العبارة دليلا على أن كتبة الاناجيل كانوا مؤرخين صادقين لانهم ذكروا هذه المسائل التي تدل على شك الحواريين وهي ــ كما يتوهم هؤلاء الناس أو يزعمون ــ لا تصدر الا من المجردين عن الاغراض والاهواء الصادقين من المؤرخين !!

لكم الحق انه خير لكم أن انطلق . لانه ان لم أنطلق لا يأتيكم المعزي (البارقليط) ولكن ان ذهبت أرسله اليكم) فاذا كانت روح القدس لاتنزل عليهم الا اذا انطلق ولا يرسلها اليهم إلا بعد ذهابه فكيف اذا أرسلها اليهم قبل صعوده كما قال في انجيل يوحنا (٢٠ : ٢٢) ألا يدل ذلك على صحة قولنا في كتاب دين الله ص ١١٨ـ١٢٠ أن البارقليط هو غير روح القدس (١) وأن المراد به محمد (ص) كما بيناه هناك ؟ ولماذا كان انطلاق المسيح ونزول الروح خيرا للتلاميذ من بقاء عيسى بينهم مع أنه لو بقي لأمكنه أن يعلمهم كل شيء علمه لهم روح القدس على حد سواء اذ كل منهما اقنوم إلهي يعلم كل شيء كما يدعون ؟ أليس في ذلك تصريح بأن الرسول الآتي سيكون خيرا للناس من المسيح وأنه افضل منه ؟ ولذلك كانوا

---

[١] كان أقدم فرق النصارى يعتقدون أن البارقليط شخص يظهر بعد عيسى لا روح القدس (الاقنوم الالهي عندهم) ومن هذه الفرق القديمة ذلك الغنوسطيون Gnostics ومنهم المركيونيون أتباع ماركيون Marcion من أهل القرن الثاني الذين ادعى بعضهم أن المراد بالبارقليط ([illegible]) وكتاب [illegible] المساواة ، لوماس وتاكر صفحة ١٤٤ وفي نحو سنة ١٥٦ ميلادية [illegible] Montanus [illegible] في Phrygia ـ وهي من آسيا الصغرى ـ [illegible] من النصارى وبقي تابعوه الى القرن الرابع . وفي [illegible] Mani [illegible] البارقليط فقد ادعى هذا الرجل أنه هو ، وكان ذلك في سنة ٢٠٥ــ٢٧٦ ، راجع قاموس تشمبرس Chambers وكتاب « الشهداء الوثنيين » لروبرتسن Robertson صفحة ٢٦٨ و ٢٧٤ وكتاب « ملخص تاريخ الدين » مجلد ٣ ص ٢٣٦ .

وقد بين صاحب كتاب « اظهار الحق » أيضا أن النصارى كانوا في زمن النبي « ص » ينتظرون تحقق بشارة عيسى عليه بنبي يظهر بعده ، فدعوى النصارى الآن أن المراد بها روح القدس وأنها منذ القدم فهمها الناس بهذا المعنى هي دعوى كاذبة واما اتفق عليها النصارى بعد محمد « ص » الذي تحققت بمبعثه هذه النبوة فرارا من الايمان به عنادا وحسدا ، راجع أيضا كتاب دين الله ص ١١٨ ــ ١٢٠ . ويؤيد ذلك أيضا أن انجيل يوحنا صرح أن أهل الكتاب كانوا في زمن عيسى عليه السلام منتظرين ثلاثة أشخاص لابد من مجيئهم بحسب الكتب المقدسة قبل يوم القيامة وهم ايليا والمسيح والنبي . أنظر يو ١ : ١٩ــ٢٦ و ٧ : ٤٠ و ٤١ . وصريح عبارات يوحنا المشار اليها هنا أنهم كانوا يفهمون من كتبهم أن المسيح غير النبي كما هو ظاهر لمن تأملها فدعواهم الآن أن المسيح الذي كانوا ينتظرونه هو هو عين النبي دعوى مردودة بنصوص كتبهم والتاريخ أيضا كما بيناه هنا والظاهر أنهم اتفقوا عليها بعد ظهور محمد (ص) كما قلنا ، فالنبي المبشر به في العهد القديم (أنظر مثلا تث ١٨ : ١٥ــ٢٢) هو هو البارقليط في العهد الجديد الذي بشر به عيسى ولابد من ظهوره بعده وقد كان ذلك ولله الحمد فظهر محمد مصدقا لما عندهم عنه من التوراة والانجيل . راجع أيضا فصل البشائر في كتابنا دين الله .

يرغبون فيه اكثر من رغبتهم في المسيح عليه السلام كما هو ظاهر من هذه العبارة . ولنرجع الى ما كنا فيه :

اما قول بولس ١ كو ١٥ : ٧ (وبعد ذلك ظهر ليعقوب ثم للرسل اجمعين) فلا يوجد ايضا في انجيل من الاناجيل انه ظهر ليعقوب هذا ! فلا ندري من اين أتى بذلك بولس ! واذا كان حقيقيا فماذا تركته الاناجيل ولماذا لم يروه متى ولا يوحنا التلميذان ولا لوقا المدقق الذي تتبع كل شيء قبل كتابة انجيله (١ : ٣) ؟

الظاهر أن بولس إنما ذكر كل هؤلاء التلاميذ وخصوصا بطرس ويعقوب أخا يسوع في قائمته هذه (أو جدوله) تملقا لهم في أوائل أمره ليرضوا عنه وليعترفوا له بالرسالة . فان دعوى الرؤية هذه كانت عندهم كالشهادة العظمى (دبلوما) لهم باستحقاق الرسالة (١) !! فمن منهم يتبرأ من هذه (الدبلوما) ويشكرها أو يردها بعد أن أعطاها بولس لهم جميعا !!

والذي يدلك على أن ظهور المسيح لأي واحد منهم كان يعتبر عندهم « شهادة بالرسالة » قول بولس ١ كو ٩ : ١ (ألست أنا رسولا [illegible] أما رأيت يسوع المسيح ربنا) وقوله ١ كو ١٥ : ٨ (وآخر الكل كأنه للسقط ظهر لي أنا ٩ لأني أصغر الرسل أنا الذي لست أهلا لأن أدعى رسولا ـ الى قوله ـ ١٠ ونعمته المعطاة لي لم تكن باطلة بل أنا تعبت أكثر منهم جميعهم) وهو صريح في أن المسيح انما ظهر له في آخر الكل لانه أصغر الرسل ، وهذا التعليل يفهم منه أن المسيح لا يظهر الا للرسل ووقت ظهوره لهم يختلف باختلاف مقامهم عنده فبولس وان كان قال ذلك اضطرارا للتعليل عن ظهور المسيح له في آخر الكل الا أن نفسه الفخورة المعجبة المتكبرة عادت فرفضت هذا التواضع الظاهري الذي اضطرت اليه أولا وقالت « انا تعبت اكثر من الرسل جميعهم » !! وقال ايضا عن نفسه ٢ كو ١١ : ٢ (فاني اغار عليكم غيرة الله ٥ لاني احسب أني لم أنقص شيئا عن فائقي الرسل ٦ وإن كنت عاميا في الكلام فلست في العلم بل نحن في كل شيء ظاهرون لكم بين

(١) مسألة الرؤية هذه تشبه من بعض الوجوه رؤيا النبي (ص) عند المسلمين في المنام فهم أيضا يقولون انه لا يظهر الا للمؤمنين الصالحين ، وقد قيل لبعض متصوفيهم أنه رآه وكلمه يقظة أيضا

الجميع ٢٣ أهم خدام المسيح . أقول كمختل العقل فأنا أفضل . في الاتعاب أكثر
في الضربات أوفر . في السجون . أكثر في الميتات مرارا كثيرة ٢٦ بأسفار مرارا
كثيرة . بأخطار سيول . بأخطار لصوص . بأخطار من جنسي . بأخطار من الامم .
بأخطار في المدينة . بأخطار في البرية . بأخطار في البحر . بأخطار من اخوة كذبة ٢٧
في تعب وكد . في أسهار مرارا كثيرة . في جوع وعطش . في أصوام مرارا كثيرة .
في برد وعري ٢٨ التراكم على كل يوم . الاهتمام بجميع الكنائس ٢٩ من
يضعف . وأنا لا أضعف . من يعثر وأنا لا ألتهب ٣٠ ان كان أحد يجب الافتخار
فسأفتخر بأمور ضعفي) الى غير ذلك من خيلائه واعجابه بنفسه وافتخاره بأعماله
ومنّه على الناس وعلى الله (راجع أيضا كو ٢ : ١) كأن جميع الرسل الآخرين لم
يسافروا ولم يدعوا أحدا قط الى المسيحية ولم ينلهم شيء مما ناله من المتاعب ولم
يعملوا عملا مثله مطلقا فهو - كما قلنا يعتبر نفسه أفضل منهم وأنه الكل في الكل . ولا
عمل لاحد سواه ! وقد بلغت به درجة حب الظهور والفخر انه كان يطلب بنفسه من
اتباعه ان يمدحوه ولا يستحي من ذلك كما في رسالته الثانية الى كورنثوس (١٢ : ١١)

ومما تقدم تعلم ان ظهور المسيح كان عندهم أكبر الشروط اللازمة لاستحقاق الرسالة
ولذلك كان بولس يذكر مرارا ظهور المسيح له كما في سفر الاعمال وفي رسائله
حتى ادعى انه اختطف الى السماء الثالثة والى الفردوس ورآه هناك وسمعه (٢ كو
١٢ : ١ - ٤) (١) وأي برهان يمكن لمثله ممن لم ير المسيح في حياته أن يقدمه للناس
البسطاء على صحة رسالته سوى مثل هذه الدعاوي ؟ وربما كان هو الذي بث
في التلاميذ فكرة إدعائهم رؤية المسيح بعد موته لينالهم شيئا من الشرف الذي
ناله بدعواه لها . ولا يبعد على مثل أولئك العامة من الناس الفقراء الذين لا عمل
لهم ولا علم ان يوافقوه على ذلك ويعترفوا له بها كما اعترف هو لهم جميعا بها حتى

---

(١) اذا لم يكن بولس صادقا في حكاية هذه التجليات وما ماثلها فالارجح أن الذي صورها له هو كونه عصبي المزاج كثير التفكر والاجهاد للقوى العقلية والجسمية . ثم انه كان مصابا بداء الصرع كما يفهم من عباراته عن نفسه الواردة في (٢ كو ١٢ : ٧ - ٩) وأمثال هذه التجليات معتادة عند أهل الصرع وغيرهم من ذوي الأمراض العصبية . ومن أشهر مشاهير رجال العالم المصابين كنابليون بونابرت ويوليوس قيصر من كان مصابا بالصرع مثله فان ذلك لا ينافي كونه عاقلا ذكيا مدبرا

ذكر في رسالته ظهور المسيح لخمسمائة شخص ولجميع الرسل ! ! فكأنه في سياسته اتبع المثل العامي القائل « حماني وأنا أحميك »

ولكنه هو فاقهم في ذلك كثيرا حتى جعل الظهور لكل فرد من التلاميذ ـ فان عددهم لايمكن ان يزيد عن ٥٠٠ شخص ـ ليرضوا عنه جيعا . وأي خسارة عليه في ذلك ؟ بل أي فائدة له أعظم من مسالمتهم واستجلاب رضاهم كلهم عنه؟ ولو في اوائل امره (١) قبل ان يعلم ماذا يكون من شأنه بينهم ، ومقامه عندهم ، ولو علم ذلك وعلم انه سيكون إمامهم والمقدم الاعظم في كل شيء لما اعترف لهم بشيء مطلقا كما تدل عليه سيرته معهم فيما بعد

هذا ولما كانت رؤية المسيح عندهم أعظم دليل على الرضا والاصطفاء والرسالة ـ كما قلنا ـ تحاشوا ادعاءها للكفرة والمعاندين اذ لايمكن ان يتشرفوا بها مثلهم . ويثبت ذلك أيضا قول بطرس منكرا على بولس وكيف يظهر لك (يعني المسيح) مع ان آراءك هي مضادة لتعليمه (كتاب العظات (Homilies) المنسوبة الى إكليمندس الروماني وهي مكتوبة في اواخر القرن الثاني ـ عظة ١٧ راجع كتاب دين الخوارق ص ٣٢٠) وهذه العظات وان كانت منسوبة كذبا لاكليمندس الا انها تدل على ان النصارى كانوا في اوائل المسيحية يعتقدون ان المسيح لا يمكن ان يظهر للمخالفين له المعاندين . وهذا الاعتقاد هو احد أسباب خلو كتبهم من هذه الدعوى بل هو اعظم الاسباب . وهناك سبب آخر لذلك وهو تحاشي النصارى في القرون الاولى إثارة اليهود والرومانيين عليهم لكي لايزيدوا في احتقارهم والسخرية بهم وتكذيبهم وايذائهم واضطهادهم وتنفير الناس منهم ومن دينهم فكانوا في ذلك

(١) لذلك ذكر رؤيتهم المسيح في أول رسالة كتبها ـ كما يقولون ـ بعد رسالته الى أهل تسالونيكي فان هذه الرسالة الى لأهل كورنثوس كتبها سنة ٥٧ م وفيها انه أن بعض الناس أنكروا رسالته وقالوا ان تعاليمه تغاير تعاليم بطرس وغيره من التلاميذ فذكرهم فيها تملقا لهم لئلا يجترئوا عليه ويكذبوه ويؤيدوا كلام الناس فيه . وقد داوى في رسالته هذه أيضا (أبلوس) اليهودي الاسكندري التلميذ الذي كان مزاحما له (راجع ١ كو ٣:٦-٩ و١٦:١٢ وأعمال ١٨:٢٤-٢٨) وأما رسالته الى أهل غلاطية التي اعتدى فيها على التلاميذ ـ كما ... ـ فكتبها بعد ذلك سنة ٥٨ م على ما يزعمون ثم عاش بولس بعدها نحو عشر سنين لانه مات سنة ٦٨ وكان ولاشك قد صار عنده متسع من الوقت لذكره الالهام لهداية وسيلته وعلمه ونشاطه اكثر من سائر رفقائه

حقيقة حكما» ولعلهم فعلوا ذلك ايضا بإرشاد بولس واضرابه من عقلائهم وساستهم

ولكن من لم يفهم ذلك من النصارى بدعم ادعى أن المسيح وعد اليهود بالظهور لهم بعد دفنه في الارض بثلاثة أيام وثلاث ليال فزاد هذه العبارة في انجيل متى (١٢ : ٣٩ و ٤٠) فان العدد (٤٠) منها لا وجود لمثله في الاناجيل الاخرى وقد تكلمنا على ذلك في رسالة الصلب صفحة ١٠٦ و ١٠٧ و ١١٧ و ١١٨ . راجع ايضا (لو ١١ : ٢٩ - ٣٢ ومت ١٦ : ٤ ومر ٨ : ١٢) وجميع هذه النصوص المشار اليها هنا صريحة في أن المسيح اجاب المقترحين للآيات مرة بقوله « لن يعطى هذا الجيل آية » كما في مرقس ومرة بقوله « لن يعطيهم آية الا آية يونان لاهل نينوى » كما في لوقا وغيره . ولا يخفى ان يونان لم يعط اهل نينوى اي آية فكأن مراد المسيح أنه يجب أن يؤمنوا به بمجرد دعوته لهم كما آمن اهل نينوى بيونان لمجرد مناداته لهم (راجع لو ١٠ : ٣٢) ولمنكري المعجزات أن يستدلوا بذلك على صحة دعواهم أنه لم يفعل شيئا منها . فالمسيح لم يظهر لأحد ، ولا وعد اليهود بذلك كما ادعى المحرف للانجيل . ولولا ان عدم ظهور المسيح لأحد من اليهود والروم وغيرهم من الكافرين كان معروفا شائعا متواترا بين النصارى الاولين لزاد المحرفون للانجيل قولهم انه ظهر لفلان وفلان منهم ايضا ولكن مثل هذه الزيادة لا يمكن ان تمر على الناس بسهولة ولا تدخل عليهم خفية بدون ان يشعروا بها كما دخلت عليهم الزيادة التي في انجيل متى (١٢ : ٤٠) لان ادراك هذه الزيادة يحتاج لشيء من الانتباه والتدبر ولذلك ترى النصارى يقرأون هذه العبارة في انجيل متى صباح مساء ولا يشعرون بأنها كانت وعدا لليهود بالظهور لهم ولا بأنه وعد لم يتحقق ، واذا صح أن المسيح قالها لهم وجب عليه أن يُري نفسه لهم بمقتضاها كما أرى نفسه لتلاميذه والا لكانوا معذورين في عدم الايمان به وتكذيبه فان نفس تلاميذه شكوا فيه مرارا كما بيناه في رسالة الصلب ولم يقنعهم الا بمجهود . فهل كان ينتظر منهم أن يكونوا أكثر ايمانا به من نفس تلاميذه حتى يطالبهم بالايمان بقيامته من غير أن يروه لمجرد سماع هذا الخبر من تلاميذه الذين كانوا كثيري الشك ، عديمي الايمان بنص الانجيل (مت ١٧ : ٢٠) . فكيف أخلف المسيح اذا وعده لهم ؟ وكيف يجب

عليهم تصديق مدعي الايمان ؟ ولا يخفى ان من كان كذلك لا يتحاشا الكذب وخصوصا لمصلحته ولا يخشى الله . وأي مصلحة أكبر من أن يصبح أولئك الاشخاص الفقراء ، المحتقرون ، المستضعفون ، بعد موت سيدهم ويأسهم منه وابتداء تلاشيهم ـ يصبحون رؤساء للناس ورسلا لهم يشرعون لهم ما يشاؤون ، ويأخذون من أموالهم ما يرغبون (أع ٢: ٤٤ و ٤: ٤٥ و ٣٢ ـ ٣٧ و ١٦ كو ١٦: ١ ـ ٣ و ٢ كو ١١: ٨ و ٩) بل يقتسمون جميع الاموال والممتلكات بينهم بلا عمل ولا تعب سوى القول بأنهم رأوا المسيح بعد موته حيا ، كما علمهم بولس وغيره . وقد عاد اليهم الامل ـ لما به فيهم عقلاؤهم ومفكروهم ـ بقرب رجوع ملك إسرائيل اليهم حينما رأوا اقبال الناس عليهم وخضوعهم لهم وهو الامل الذي طالما خالج نفوسهم وكانوا يرتقبون كل يوم تحققه من قديم الزمان (أنظر أع ١: ٦) حتى أنهم اعتقدوا أنهم سيملكون في الارض مع المسيح ألف سنة (رؤ ٢٠ : ٤ ـ ٦) في ذلك العصر الذهبي الذي كان يتوهمه اليهود والى الآن ينتظرونه ، وأنه متى جلس المسيح على كرسي مجده يجلس التلاميذ الاثنا عشر(١) على [illegible] عشر (مت ١٩: ٢٨)

(١) حاشية : [illegible] كتبهم لقلنا أن عبارة جلوس التلاميذ على اثني عشر كرسيا الواردة في إنجيل متى تدل على أن هذا الانجيل كتب قبل حادثة الصلب وقبل تسليم يهوذا (وهو أحد الاثني عشر) المسيح ، والا اذا كان هذا الانجيل كتب بعد ارتداد يهوذا لما ذكر كاتبه فيه الا أحد عشر كرسيا تفاديا من نسبة الخطا الى المسيح . فلا أدري لم لم يقولوا بذلك وقد كانوا يجدون لهم أنصاراً كثيرين !!! فهذا مثل من أمثلة براهينهم على قدم كتبهم !!

فان قيل لعل الكاتب أخذ هذه العبارة عن بعض مكتوبات قديمة كتبت قبل حادثة الصلب ولم يصلحها لعدم التفاته أو لأنها تقبل التأويل حيث قد انتخب (متياس) بدل يهوذا (أع ١: ٢٦) . قلت كذلك نحن نقول في بعض عبارات كتبهم التي تدل على القدم فان مؤلفي الاناجيل أخذوها أحيانا كما هي عمن قبلهم لعدم التفاتهم أو لأنها تقبل التأويل ولو مع التكلف الزائد كما فعل النصارى فيها بعد ذلك ، وأحيانا حوروها لتكون أقرب للتأويل مما كانت أو حرفوها . مثال ما قيل ما أولوه قول متى عن لسان المسيح ٢٤ : ٣٤ (الحق أقول لكم لا يمضي هذا الجيل حتى يكون =

وأن زمن رجوع المسيح قريب جدا وأنهم يبقون أحياء الى نزوله (١ تس ٤: ١٥ ـ ١٨) حتى قال لهم بولس « عزوا بعضكم بعضا بهذا الكلام » وليس هذا فقط بل قد وعدهم المسيح (كما في مر ١٠ : ٣٠) بأن من ترك شيئا لاجله يأخذ مائة ضعف في هذه الدنيا وله الحياة الابدية في الآخرة ، وأفهمهم بولس أيضا بأنهم جميعا سيدينون العالم والملائكة (١ كو ٦ : ٢ و ٣) وقد بلغ بالرؤساء منهم الغرور والجهل الى درجة ان توهموا او اوهموا الناس ان بيدهم غفران الذنوب (١) ومفاتيح

= هذا كله) فاذا صح أن الجيل قد يراد به في لغتهم الصنف من الناس كالأمة اليهودية كلها فالكاتب انما استعمله بهذا المعنى وعليه فهو لايدل على قدم الانجيل . واذا كان هذا اللفظ لا يراد به الا الطبقة الموجودة في زمن ما كان هذا القول دليلا على أن هذا الانجيل كتب قبل انقراض جميع معاصري المسيح وحينئذ يكون عيسى نفسه مخطئا في هذه العبارة . فهي إما أن تكون صحيحة والانجيل ليس بقديم ، وإما أن يكون الانجيل قديما وعيسى مخطئا فأي الوجهين تختارون ؟ وأما القول بأنها صحيحة وأنها تدل على قدم الانجيل فهذا مما لا [illegible] والحق انه لولا [illegible] أولئك الكتبة لما وجد في كتبهم ما وجد فيها من التناقض والغلطات التي لا تحتاج [illegible] أو تفكر ولذا كان منهم من ناقض نفسه بنفسه في الكتاب الواحد بل في العبارة الواحدة راجع صفحة ٤٨ !!

(١) ان كان هؤلاء الناس معصومين من الخطايا فكيف رآى بطرس اليهود في انطاكية حتى قال عنه بولس « انه كان ملوما أومداناً وانه هو ومن معه لا يسلكون باستقامته حسب حق الانجيل » (غل ٢ : ١١ — ١٤) ؟ وكيف أنكر المسيح وقت أخذه للصلب وأقسم أنه لايعرفه (مر ١٤ : ٧١) ؟ وان كانوا غير معصومين فكيف اذاً يغفرون للناس ذنوبهم وهم — فوق ماتقدم — عديمو الايمان كما قال لهم المسيح ؟ (مت ١٧ : ٢٠) أليس اليهود أفضل منهم لانهم امتنعوا عن ادانة الزانية — حينما ذكرهم المسيح بخطاياهم — وبكتتهم ضمائرهم (يو ٨ : ٧ - ١١) وأما هؤلاء فيدينون الناس (أع ١٣ : ١١) ويمسكون خطاياهم (يو ٢٠ : ٢٣) وهم أنفسهم مدينون !! فلم ذلك وما حكمته وهل هو مما تسمه عقول النصارى أيضاً كما وسعت التثليث وغيره ؟ ! وهل لايزال البروتستنت منهم ينكرون أن مسألة الاعتراف ، وبيع أوراق الغفران (Indulgences) والقطع من الكنيسة ، والسلطة البابوية ، وغير ذلك مما تسببت عنه مفاسد عديدة ـ يعرفونها ـ بين جميع النصارى =

ملكوت السموات (١) وان كل ما يربطونه على الارض يكون مربوطا في السماء وكل ما يحلونه على الارض يكون محلولا في السماء (مت ١٦: ١٩ و١٨: ١٨ ويو ٢٠: ٢٣) الخ الخ فمن اذاً لا يقول بتوهم في قيامة عيسى ليدخل في زمرتهم حتى ينال ما نالوه أو سينالونه في الدنيا والآخرة ؟ مهما ناله من الاذى والاضطهاد الوقت طمعا فيما سيحصل له ولأمته من صلاح الحال وحسن المستقبل والنعيم الدائم في الدارين . الا ترى ان القاتل يقدم على القتل طمعا في المال مع علمه بأنه غالبا سيقع في القصاص الذي يذهب بحياته كلها ولكن الأمل في السعادة والطمع في لذة المال يدفعه لارتكاب هذا الاثم العظيم مهما كانت نتيجته .

= منذ القدم اذا نشأت كلها من عبارات كتبهم هذه التي - في الحقيقة - ما وضعها الآباء فيها الا ليثبتوا عليها سلطتهم بدعواهم أنهم خلفاء المسيح ورسله وتوابهم فيكون لهم من السلطة والحقوق ما لاولئك سواء بسواء ! واعطاء للتلاميذ حق التصرف في ملكوت السموات ! فكيف أصبح البروتستانت ينكرون على ارؤساء الروحانيين (وهم خلفاء التلاميذ) [illegible] هذه الارض الصغيرة الحقيرة وهو الحق الذي يدعونه دائما [illegible] الاول؟ أليس انكارهم هذا أثرا من آثار [illegible] من حيث لا يشعرون أم هم يكابرون؟ وقد جاء بها النبي الامي في أزمنة الجاهلية والعالم كله في الضلال المبين

(١) أي عقل أصغر ! وأي إدراك أقصر ! وأي علم أقل ! وأي عقيدة أسخف ! وأي وهم أكبر ! وأي غرور أعظم ! ممن يعتقد مثل هذه العقائد ؟ فان الارض ومن عليها ليست الا ذرة من ذرات هذا الكون الواسع الكبير العظيم كما أثبته علم الفلك الحديث. قارن عبارات كتبهم هذه بقول القرآن الشريف (ومن يغفر الذنوب الا الله) وقوله : (لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس) وقوله (وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) فالبشر ليسوا أفضل من جميع مخلوقات الله تعالى كما كان يتوهم أولئك الواهمون المفتونون المغرورون ، وما قدروا الله حق قدره ، سبحانه وتعالى عما يتوهمون ويصفون ويشركون ، هو الكبير المتعال ، ليس لهم من دونه من ولي ولا يشرك في حكمه أحدا ، لا إله الا هو الواحد القهار ، رب السموات والارض ورب العرش العظيم ، فلله وحده الحمد والشكر أن طهر عقولنا بعقائد الاسلام من تلك الاوهام ، ورفع نفوسنا بالتوحيد ، حتى لا نأتيها بالذل والخضوع والعبادة لأمثالنا من العبيد

هذا اذا ـ لم أن التلاميذ ومن معهم من النصارى كانوا حقيقة يجاهرون على رؤوس الاشهاد بدعواهم قيامة المسيح (انظر رسالة الصلب ص ١٤٩) وانه نالهم جميع الاضطهادات التي نسمعها من قصاصي النصارى . واذا ـ لم ذلك فهل كانت كل هذه الاضطهادات بسبب هذه العقيدة وحدها ؟ مع انهم كانت لهم عقائد اخرى يخالفون بها غيرهم ، وكان اكثر ما يتهمون به هو التهم السياسية لما عند الرومانيين من الحرية في المسائل الدينية ولعدم وجود سلطة عليهم في ايدي خصومهم اليهود وخصوصا بعد تشتت هؤلاء وخراب اورشليم سنة ٧٠ م وقد اعترف مؤرخوهم بأنه لم يمس المسيحيين اذى في اثناء حرب الرومانيين مع اليهود لان المسيح كان انبأهم بخراب اورشليم ووصاهم بهجرها

ولا يخفى ان (استفانوس) ـ اول شهيد في النصرانية ، وإنما رجمه اليهود لانهم اتهموه بالتجديف على موسى والناموس وعلى الله (راجع اع ٦ : ١١ ـ ١٤) وكان رجمه بعد ان القى عليهم خطابا طويلا [illegible] كما هو مذكور في الاصحاح السابع من سفر الاعمال وليس [illegible] هذا الخطاب [illegible] قيامة المسيح من الموت ولا لرؤية احد له بعد هذه القيامة [illegible] قتل اليهود [illegible] قتلوا قبله انبياء كثيرين (اع ٧ : ٥٢) . ومن عبارة استفانوس هذه يفهم ان بعض اليهود المتنصرين في أوائل المسيحية لم يكونوا يعتبرون الصلب والموت مقللا من قيمة المسيح عندهم ولا مزلزلا لعقيدتهم فيه بل كانوا يعدونه من مصائب الدهر التي اصابت المسيح واصابت غيره من انبياء الله السابقين الذين تعود اليهود قتلهم من قديم الزمان .

فقول المبشرين الآن انه لولا قيامة المسيح من الموت ماقامت للنصرانية قائمة لأن صلبه[1] وقتله زلزل عقيدة تلاميذه فيه وبروزه لهم بعد الموت انعشت نفوسهم ، إنما هو قول باطل لأن التلاميذ ما كانوا يعتقدون استحالة الموت والقتل عليه ولم يعتبروا حصول ذلك الا شيئا معتادا بين الكثيرين من الانبياء قبله فهو ليس بدعا من الرسل في ذلك . وهذا الاعتقاد هو الذي كان فاشيا فيهم قبل ان تبهم بولس

(١) هذا الكلام كله مبني على تسليم قصة الصلب كما هي في كتبهم

واضرابه من مفكريهم - المصريين بحال امتهم ومستقبلها الغيورين عليها - الى حكمة لحصول الصلب والموت للمسيح وهي خلاص البشر به فبعدئذ اصبحوا ينظرون الى الصلب بغير نظرهم اليه أولا واعتبروه اكراما يشرف المسيح ويرفع منزلته في عيون الناس اجمعين فصاروا بعد ذلك يدعون الى عقيدتهم هذه فرحين مسرورين (١ كو ١: ١٨) ثم يجوز انه لولا ان تذيعوا الى هذه الحكمة لكان يمكن لليهود أن يأثروا في بعض عامتهم الضعفاء ويزلزلوا عقيدتهم في المسيح أو يحولوا بعضا منهم عن الايمان به . فالذي حمى النصارى من ذلك (اولا) هو علمهم بما حصل للانبياء قبله من الاضطهاد والاذى والقتل والمرض وغيره من مصائب هذه الحياة التي يجب ملاقاتها بالسكينة والصبر والرضا بقضاء الله وقدره (انظر أع ٢ : ٢٣) (وثانيا) هو الحكمة التي اخترعها لهم بولس وغيره أو نبههم اليها ، ولو ان بولس جعل قيامة المسيح من أكبر أسس هذه الحكمة الالهية كان لاشك يمكنه الاستغناء عن القول بها لولا ميله الفطري دائما الى الغلو والاغراق في كل ما اعتقده وارتآه كما هو ظاهر من رسائله ومن [illegible] انما كان من زيادة غلوه في تكريم المسيح [illegible] الوثنيين بتقليد عقائدهم في مخلصيهم . وهو في تحوله هذا السريع من بغض المسيحية واضطهاد اتباعها الى محبتها ونصرتها يشبه عمر بن الخطاب في تحوله فجأة من عداوة الاسلام واهله الى محبته ونصرته . هذا إذا سلمنا قصة بولس الواردة في كتبهم وفرضنا أن ما نصره واحبه هو المسيحية لا ديانة جديدة هو الواضع لها ولكنا نرى ان علماء الافرنج المحققين قد اصبحوا الآن يشكون في كل ما رووه ونقلوه لما علموه عنهم من كثرة التحريف والاختلاق ، وهو الأمر الذي قرره القرآن منذ نزوله (راجع مثلا ٢: ٧٥ و ٧٦) ولكنهم كانوا وقتئذ يكابرون و يكذبون

(لها بقية) الدكتور محمد توفيق صدقي

(١) كما غالى بعض اليهود كثيرا في موسى وقالوا ان موسى لم يمت وانما اختفى عن قومه ولا يزال حيا ؟ وكما غالى النصارى في مريم وقالوا انها رفعت بعد الموت الى السماء بروحها وجسدها ولهم عيد (يوم ١٥ اغسطس) يحتفلون فيه بذكرى رفعها !! وكان الوثنيون يقولون برفع بعض آلهتهم الى السماء (انظر مثلا كتاب « الخرافات والاساطير » لمؤلفه ووركمنس ص ٣٨٤) ويقول اليهود برفع بعض الانبياء اليها ايضا (راجع عب ١١: ٥ و ٢ مل ٢: ١١)

باب المناظرة والمراسلة

سيدي العلامة الشهير منشيء المنار الازهر أيد الله بك الشرع الاغر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد فإني لا أنسى تلاوة أعداد مجلتك المحترمة وما حوته من منشورات نصارى البروتستان في الغارة على العالم الاسلامي ودسائسهم في اضلال ضعفاء المسلمين وتهديدهم حياة الاديان حتى الاسلام بقواهم ومعداتهم المدهشة وما كان يشيعه (زويمر) عن مسلمي البحرين من تأثير عملياته فيهم

أقرأ تلك المنشورات وأنامل ترتعش وفرائص ترتعد ونيران الاحزان تلتهب في أحشائي وتتقد .. حتى اني سئمت العيش [illegible] وهجرت الاهلين والوطن وخرجت بوجهي كهائم في فلاة حتى بلغت جزر البحرين لكي أطلع على حقيقة الامر وأتحقق صحة ما أشاعه دعاة البروتستانت من [illegible] الاسلامية [illegible] فأتدارك الخطب بعدئذ عن بصيرة

حللت بلاد البحرين في أول يوم من هذه السنة والتقيت بأميرها وقاضيها والعلماء والاعيان من أهليها . وفتشت عن (زويمر) فأخبروني بسفره الى البلاد المصرية واتفق نزولي في دار قريبة من مستشفى البروتستان ومن مدرستهم وبيوتهم فأرسلت الى بعض خدمهم من مسلمي الجزيرة وأخذت منه بعض المعلومات الضرورية وظفرت بمصاور ادارتهم الكائنة في البحرين وفي مسقط والكويت والبصرة

ان الخطر مما لا يستصغر ولكن مما يهون الخطب ان اكثر ما يشيعونه من نجاح مسعاهم في هذه البلاد مبالغات أو مفتريات يقصدون من نشرها اغراء جمعياتهم الكبرى وتشويقها حتى تبذل لهم الاموال الجسيمة

وها أنا ذا ذاكر لسيادتك بعض ما كشفته عن أمر هؤلاء وسوف أذكر في حضرتك البقية بالمشافهة ان شاء الله تعالى

أما الدعاة المنتشرة في البحرين فلا يبلغ عددهم العشرين رجالا ونساء وأكثرهم لا يحسنون العربية ، ولا يعرفون شيئاً من العلوم الدينية ، وهذا بعض ما يدل على ان

هؤلاء يغشون جمعياتهم الكبرى التي تنفق عليهم الأموال الطائلة لظهور عجزهم وقصورهم في اداء وظيفتهم فتذهب بهم أموال الجمية هواء في شبك

وقد لقيني معلمهم بعض الايام وسألني عن قوله تعالى « واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة » الخ الآية . فقال ان المستفاد من الآية هو علم الملائكة بالغيب بل بما لم يعلمه الله تعالى . قلت ياسبحان الله كيف تستفيد ذلك من الآية مع تصريح الملائكة في هذا السياق بقولهم (لا علم لنا الا ما علمتنا) وتصريح الباري عن شأنه بقوله (إني أعلم مالاتعلمون) : ثم ان الملائكة لم تعترض على الله في خلق آدم وانما استفهموا منه تعالى عن جواز صيرورة الظالم المفسد (في رأيهم) خليفة فقالوا بعد قوله (إني جاعل في الارض خليفة) (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء) الخ ولم يقولوا أتخلق فيها من يفسد

ومتى كان هذا القول من الملائكة استفهاما وسؤالا عن جواز استخلاف الله تعالى ظالماً ولم يكن ذلك منهم اعتراضاً عليه دلّ ذلك على عدم علم الملائكة الغيب وعلى سعة علم الله تعالى دون العكس كما توهمت

وتكلمت معهم مرة في مسألة اشباع السيد المسيح عليه السلام خمسة آلاف نفس بخمسة ارغفة المذكورة في الانجيل وغيره وبرهنت لهم بالأدلة الواضحة منافاة هذه القضية لحكم العقل والعلم ، فاعترفوا بمناقضتها لحكم العقل لكنهم اعتذروا بأن الدين لايضره مناقضة العقل ! فبينت لهم في مقالة ضافية الذيل وجوب معاضدة العقل للدين ومصادقتهما ويستحيل بدون ذلك ايمان الانسان ايماناً صادقاً وذكرت لهم موافقة الدين الاسلامي للاحكام العقلية وتصريح بعض علماء الاسلام بقضية (كل ماحكم به العقل حكم به الشرع وكذلك العكس)

وللدعاة البروتستان في البحرين مدرسة صغيرة مركبة من حجرتين يجلس الاطفال في التحتانية منها ويجمع الكبار للصلاة في الفوقانية ولا يبلغ تلاميذها عدد الاصابع وما فيها من المسلمين غير صبيين عربي وفارسي يتعلمان فيها الانكليزية ، ورأيتهما يستهزآن بصلاة هؤلاء ويقول احدهما للآخر كيف يقبل الله تعالى صلاة يغنون فيها بأدوات اللهو ويقضون باسم الصلاة شهوات انفسهم

وأما تاريخ (زويمر) فالمشهور بين أهالي البحرين انه في أول مجيئه قبل بضع عشرة سنة صادف خشونة من الناس فهاجر الى بلاد الحسا ليستقر فيها فوجد في أهليها ذكاء وتنبهاً وان البلاد عثمانية لا يسود فيها حكم لقونسل انكليزي حتى يستظهر

مثله به كما ستسمع ، فرجع الى البحرين يخفي حنين واستعذب مايراه ثمة من المهانة وكان يلقب نفسه « ضيف الله » والاهالي يدعونه « ضيف ابليس » (كذا ذكر الناس) وكان قد فتح في مبدإ أمره حانوتا في السوق لبيع الكتب المختلفة ثم تخصص بالتدرج لبيع الكتب المسيحية وبعد اعوام عزم على شراء أرض هناك فامتنع الحاكم ان يبيعه مع انه اشترط على نفسه ان لايضع فيها ناقوساً ولا غيره من آثار النصرانية ولا يدعو فيها الى دينه لكن (زويمر) توسل بقولسلية الانكليز في بوشهر والبحرين فألحت القولسلية على الحاكم واخذت منه قدرا واسعاً من الارض لزويمر بثمن أربعة آلاف روبية تقريباً واسسوا فيه مدرسة ومستشفى صغيراً لنشر دعوة الانجيل بتمام حريته (أفلا يدل هذا وأمثاله على تورية في لهجة أوربا في ادعاء اجتناب ساستها الامور الروحية وتجنب رجال ديانتها الامور السياسية!)

ولم يظهر خلال هذه الاعوام نجاح لزويمر الا في أمور أربع (الاول) زيادة راتبه ومعاشه الى ١٥٠ روبية في الشهر عن ... عليه بعض أخلائه الامريكانيين (الثاني) تكثيره عدد الدعاة في بلاد البحرين من رجال ونساء امريكيات يتطلبون بسماحهم الارزاق (الثالث) استخدامهم الفقراء المسلمين في ... ارادتهم ثم يأخذون صورهم يرسلونها الى بلاد أخرى ليروهم انهم تنصروا والصحيح انهم تنصروا في دسائس مخالفيهم ولقد شاهدت في مستخدميهم الغيرة الاسلامية والشكوى مما هم فيه حيث ان الفقر ألجأهم الى خدمة عباد المسيح (الرابع) توزيعهم نسخ الاناجيل بين المسلمين ولشدّ ما أخطأوا في هذا الامر وسيندمون حين لاينفعهم الندم ، لان أبناء القرآن اذ اطلعوا على آيات الانجيل سقط موقعها من أعينهم . وقد اسمع اطلاق خصمي في ذلك لم أجد مسلماً يسمع الانجيل الا وشكلم عليه.

ولقد قال لي بعض البحرانيين اني كنت أعتقد قبل ان أرى الانجيل أنه كتاب الهي ولكن يد التحريف مست بعض آياته : وبعد ماوصلتني منه نسخة سقط من عيني حتى كدت ان أنكر نسبة شيء منه الى الباري

ولقيت الشاب الغيور (يوسف كانون) أحد أجلاء البحرين وممن يحب اليهم زويمر وقد أتحفه بنسخة من المهدين فقال وقد أعانني قرائتهما على محاجة زويمر معي في كثرة أزواج نبينا محمد (ص) فقلت انها لاتنافي رسالته من الله تعالى وهذا سفر صموئيل من التوراة يتعلق بأن سليمان النبي عليه السلام تزوج بثلث من من النساء وان داود عليه السلام تزوج بغير زوجته على وجه غير وجيه: الى آخر ماقال

وكان شبان العرب يذكرون لي ما سنح في خواطرهم من الاعتراضات على الاناجيل وجاء بعضهم يوماً بنسخ من الاناجيل الموزع عليهم قد كتبوا على هوامشها اعتراضات جمة .. ولقد نهيتهم عن احراقها اذ بلغني ان أكثر جهالهم يأخذون نسخ العهود الموزعة عليهم ويحرقونها !! أو يلقونها في البحر !! ويرمون الغلافها ويستعملون الاوراق لصنعة الكرتون أو سائر حوائجهم !

وبالجملة ان نشر هؤلاء تلك الكتب بالمجان وشبهه تلقي خسارات باهظة على كاهل جمعياتهم من دون فائدة ، بل المرجح ان ذلك يعود عليهم بمضرة كبيرة يصعب عليهم ملافاة أخطارها في المستقبل ، وهي توجه أفكار المسلمين الى اشاعة ما في الاناجيل وانكاره تماماً فهم مالم يقرؤا الاناجيل مدهشون حسبما يظهر من قرآنهم المقدس (ان العهود كتب إلهية مست يد التحريف بعضا من آيتها) ومتى اطلعوا على خوافيها ، نفروا من جميع مافيها ، وعرفوا مواضع الطعن منها .. أقول هذا ولا أظن المسيحي يعترف لي أو يصدقني لما ملأ قلبه من التعصب للانجيل ، وزعم ان الناس كلهم يرون انجيله مثلما يراه ، كلا ، ومن أنذر فقد أعذر

أخذ الافرنج [illegible] يوزعون الاسلحة النارية على العرب ، بالمجان بعضاً وبأزهد الأثمان أخرى [illegible] إشعال الفتن والقلاقل الداخلية فيقع بأس المسلمين بينهم ، ويخرب الاسلام بأيدي أبنائه ، وقد [illegible] من فئة الذين وما أشبه خسروا في توزيع الأسلحة ثروة عظيمة

ولما ظهرت صيحة طرابلس ونهض العرب كأسود ضارية يستعملون تلك الاسلحة والسهام في نحور أعداء الاسلام خابت ظنون الافرنج وانعكست سياستهم فطفقوا الآن في موانئ جزيرة العرب يشترون منهم بأثمان غالية تلك الاسلحة التي فرقوها بينهم بأبخس الاثمان فتضاعفت خساراتهم مرة أخرى (تلك اذن كرة خاسرة)

وها أنا ذا أنذرهم (ولا يغني الانذار) وأحذرهم من نشر كتبهم في المسلمين لانهم في هذه الفكرة كالباحث عن حتفه بظلفه يبصرونهم مواضع الطعن و يكثرونهم منها ، ولسوف تراهم يشترون بأغلى القيم جميع الأناجيل التي فرقوها فيهم بالمجان أو بقيمة زهيدة ويسعون في جمعها بكل وسيلة وحيلة وتكون خساراتها في حال جمعها أكثر من خساراتهم حال تفريقها وتكون عاقبة أمرهم في نشر أسلحتهم الدينية كأمرهم وخطأهم في نشر أسلحتهم النارية .. ومن أنذر فقد أعذر

من (بطون القلوب) (سائح ناصح)

(المنار) ان هؤلاء القوم لا يألون زيادة نفور بعض من يرى كتبهم من دينهم ويكتفون ممن يأخذ هذه الكتب بالأنس بهم والتمادي في البحث عنهم والتشوف الى سائر ما ينشرونه ولو بقصد الاختبار أو السخرية ، وحينئذ يفتح لهم باب التشكيك في الاسلام بنشر الكتب التي تطعن فيه ولا يذكر فيها شيء من كتبهم ، ومتى شك المسلم في القرآن أو نبوة النبي (ص) كفر وبطلت ثقته بالاسلام ، وهذا عند الدول أول أول درجات الفتح السلمي بواسطة دعاة النصرانية . فالأولى للمسلمين ان لا يأخذوا شيئا من كتبهم البتة الا من كان متصديا للدفاع عن الاسلام والتفرقة بين الحق والباطل، ومن أخذ منها شيئا فلا كفارة لأخذه مثل إحراقه بالنار ، قبل أن يهوي به الى النار ، وقد أخطأ السائل الفاضل بنهي الناس عن احراق تلك الكتب التي تثير الفتنة، وتفرق شمل الأمة ، وتكون وسيلة للشك في الدين ، ولإزالة ملك المسلمين ،

وكما ينبغي إحراق تلك الكتب الضارة ينبغي أيضا نشر الكتب التي تبين حقيقة هذه النصرانية التي يدعوننا اليها [illegible] وأنها أبعد الأديان عن دين المسيح الصحيح، وعن دين بولس الذي ألفه باسم المسيح، وأودعه هذه الكتب التي يسمونها العهد الجديد . [illegible] من أهل البحرين والكويت وسائر بلاد الخليج الفارسي وعمان والعراق الى نشر الكتب التي تشكك الناس في القرآن والاسلام ، سنزداد عاما بعد عام ، فعليهم أن يؤلفوا جمعية للدفاع عن دينهم يكون أول عملها مجاهدة هؤلاء الدعاة (المبشرين) بمثل ما يجاهدون المسلمين به ، بأن يكون أول عملها توزيع الكتب التي تبين حقيقة النصرانية الحاضرة مجانا في كل مكان وصلت اليه فتنة هؤلاء الدعاة ، وأهمها هذه الرسائل الجديدة التي ننشرها نحن وكتاب (العقائد الوثنية في الديانة النصرانية) فهذه أنفع من كتاب الجواب الصحيح وكتاب إظهار الحق وأمثالهما من المطولات التي لا يفهمها حق الفهم الا العلماء

وليتذكر الشيخ مقبل الذكير والشيخ قاسم بن ثاني أن الاجر في نشر أمثال هذه الكتب والرسائل صار في مثل تلك البلاد أفضل من طبع كتب الفقه والفتاوى والرد على المبتدعة المتقدمين الذين انقرضت مذاهبهم وماتت بدعهم . لأن هذا يتعلق بحفظ أصل العقيدة وكنه الاسلام . ثم يجب على الجمعية ان تمنع المسلمين عن مدارس دعاة النصرانية وتمنعهم من الدخول فيها بكل الوسائل الممكنة . والا ندموا حيث لا ينفعهم الندم . ومن أنذر فقد أعذر ، والسلام

﴿ جمعية خدام الكعبة (*) ﴾

– ان الاتحاديين أضروا بالاسلام والمسلمين أكثر من أضرار الاعداء الحقيقيين فقد مزقوا الدولة وأذلوا العثمانيين والمسلمين معاوفرقوا الكلمة ولبسوا بالامة وضيعوا من ممالك الدولة الاسلامية في خمس سنين مالم يضيع مثله عبد الحميد وأعوانه في أكثر من ربع قرن – وقد نفروا من هذه الدولة – المصابة من أيدي أبنائها بأكثر مما أصابها به الاغيار – قلوب العالم الاسلامي – واذا كان العدو العاقل خيراً من الصديق الجاهل فما بالك بهذا الصديق الجاهل اذا كان زنديقاً ملحداً لايعتقد بالقول يؤمن بما به تؤمن، ولا يصدق ويوقن بما تصدق به، وتوقن الامم الا دعوى لسانية تخالفها الافكار والاعمال وتباينها السيرة والحال وهو مع ذلك قد تطور باطوار لا تلائم الجنس الذي يدعي الانتساب اليه، وتشكل باشكال [illegible] وبالا على جنسه وعليه

لئن كنا نؤاخذ الاتحاديين على السيئات التي اجترحوها والجرائم التي ارتكبوها والاضرار التي جلبوها على الدين والامة والدولة وعلى العثمانيين عامة وعلى أنفسهم خاصة – فانما ذلك [illegible] لهم الزيغ والضلال ولا نريد لهم الخراب والدمار والارتماء في [illegible] عليهم أضعاف غيرتهم على أنفسهم

ولئن كنا في أسف وحزن وغم على ما أصاب اخواننا الاتراك، من أيدي الاتحاديين الاغرار، وأذنابهم المفسدين الاشرار، وعلى عمل هؤلاء الاتحاديين بانفسهم وشعبهم (والجاهل يعمل بنفسه مالا يعمله العدو به) فانا نشكر من جهة أخرى لهؤلاء الاغرار أعمالهم الخبيثة، وأعمالهم السافلة، لانها نبهت المسلمين الى وجوب ترك الاتكال على الغير والى السعي والعمل لملتهم وأمتهم وحماية دينهم والنظر في أمورهم واصلاح ذات بينهم وترقية أنفسهم وان كان ذلك قد جاء (بعد خراب البصرة)

فقد قعدت هذه الملايين العديدة من المسلمين عن العمل من قبل اتكالا على هذه الدولة التي يفتخر سلطانها (ويحق له الفخر) بخدمة الحرمين الشريفين كعبة المسلمين قاطبة وروضة نبيهم أجمعين – والذي يحترمه المسلمون كل الاحترام ويغارون عليه أشد الغيرة ويفدونه بالارواح والانفس والاموال بسبب الانتساب بسمة

هذه الخدمة الشريفة. وتوهم أنها هي التي ترفع شأن الاسلام وتحفظ سلطته والحكم بشريعته وتحمي أهله وتعزهم وتنهض بهم وترفع رؤوسهم، وتفك أغلال الاستعباد عن المستعبدين، وتذيقهم نعمة الحرية الكاملة التي يتمتع بها بقية العالمين

ولما ظهر لهم الآن الصواب من الخطأ، وتبين الرشد من الغي، وأزال الاخلاديون بأيديهم الآثمة سجوف الشكوك والاوهام، وتجلت حقيقة هذه الدولة النكودة للخاص والعام من هذه الملايين المتوا كلة ـ انتبهوا لحالهم، ورجعوا الى أنفسهم، وثابت اليهم عقولهم، وندموا على اتكالهم كل هذه المدة (ولات ساعة مندم) فهبوا من نومهم طائشين مدهوشين يتشبثون كالغرقى بكل ما تصل اليه أيديهم، وينظرون الى مستقبلهم ومستقبل دينهم وأمتهم ومآل كعبتهم وقبر نبيهم بعيون ملؤها الخوف والفزع، وقلوب تحيط بها جيوش الاضطراب والهلع، ولا يدرون أين يسيرون وماذا يفعلون وأي شيء من الاعمال يقدمون

ولأذكر لكم مثالا واحداً من أمثلة رجوع المسلمين الى أنفسهم، وخلعهم نير الاتكال على غيرهم من ناقميهم، ويأسهم من الدولة العثمانية، والحكومة الاسلامية القائمة بها الامة التركية. وهذا الرجوع والعلم وان جاءا متأخرين عن وقتهما كثيرا وربما لا تسر الناس اليوم ولا تنفع المسلمين في الحال ... لا ن اعتماد المسلمين على أنفسهم بعد اتكالهم على الغير، واعتمادهم على أنفسهم في أمورهم، والسعي والعمل لملتهم وأمتهم وتوجيه أفكارهم وأنظارهم نحو حماية الاسلام ورفعة شأنه، وصيانة الشرع الشريف من العبث به، لا بد وأن ينفعهم اما عاجلا أو آجلا، وأن يحفظ لهم البقية الباقية، ان لم يعد لهم ما كان لهم في الايام الخالية (وكل من سار على الدرب وصل) والقنوط ليس من شأن المسلمين الصادقين، كيف وقد أخبرهم ربهم بأن العاقبة للمتقين، وان الله ولي المؤمنين:

تألفت في لكنؤ من بلاد الهند جمعية نافعة جداً ولكنها لا تزال في طور التكون اسمها مجلس أو انجمن (خدام الكعبة) وقد نشر نظامها وبروجرامها بعد بيان مقاصدها وأغراضها (وكل ذلك بصورة اقتراح لطلب الموافقة عليه) حضرة الكاتب الغيور، والمحامي المسلم الكبير، مستر (مشير حسين القدواني)

ولما كان الوقت ضيقا وكان النظام والاقتراح طويلا اكتفيت اليوم بنقل مقدمة القدواني وتمهيده الذي مهد به الكلام على اقتراحه مرجئا نقل الاقتراح وارساله الى البريد التالي ان شاء الله

وهذا هو التمهيد مترجما عن الخلاصة التي نشرت منه في العدد ١٦ من المجلد الثاني من جريدة (الهلال الاسبوعية) الغراء الصادرة يوم ٢٣ ابريل سنة ١٩١٣ من كلكته :

﴿ مجلس خدام الكعبة ﴾

يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون

لاشبهة في ان الله جل جلاله هو الحافظ لنوره . ولكن ألا نحب نحن هامعشر الامانة النورانية لدينا ؟ هل يختار الله غيرنا للمحافظة على هذا النور ؟ألا يبقى من يؤتمن على هذا النور من نسل الامة المحمدية الموجودة ؟

منذ سنتين ونحن في ابتلاء شديد . كم استشهد من المسلمين في طرابلس ؟ وكم ذبح منهم في البلقان؟ ولم يكتف الظالمون بسفك دماء اخواننا بل تعدوا الى انتهاك حرمات الاماكن الاسلامية في البلاد التي وقعت في أيديهم فجعلوها اصطبلات واتخذوها كنائس

ولا تزال قوات البلقان المتحدة ومعها جميع الدول المسيحية في سعي متواصل لاخراج أدرنة من أيدي المسلمين [illegible] على مساجد خلفاء الاسلام سلاطين آل عثمان ومقابرهم ، ولاجل تمكين الروس من طردنا من المسلمين تطلب بقاريا الاستيلاء على القسطنطينية التي فيها مسجد أياصوفيا والمزار المقدس

ان ماجرى في المشهد المقدس(١) من قريب غير خاف على أحد — واذا كان هكذا هيجان المسيحيين ذوي التهذيب المادي في القرن العشرين فمن يضمن لنا خلاص الكعبة المعظمة والمدينة المنورة من جريان مثل ذلك عليهما (لاقدر الله)

انا قد استفدنا درسا وافيا في عدم الاعتماد على قوة أخرى أو دين آخر فيجب علينا أن نفكر ونعمل للمحافظة على مواسمنا المقدسة وخدمتها

اخواني الا أريد بهذا القول الدول المسيحية بل أريد أن أنبهكم الى أن الواجب عليكم من الآن أن لاتتركوا أمر الاماكن المقدسة لشعب من شعوبكم أو طائفة من طوائفكم ـ أتراكا كانوا أم ايرانيين ـ فان هؤلاء المدعين الحماية لايقدرون على الاعداء الكثيرين سواء كانوا منفردين أو مجتمعين ولا يمكن لقوة أن تقابل عشر قوات . ألا وان الحق في نظر التهذيب المادي هو الشدة والقوة . ان العثمانيين

(١) المراد بالمشهد المقدس مزار قبر الامام علي الرضا من ائمة آل البيت عليهم السلام والرضوان وهو في (طوس) من بلاد فارس وقد انتهكت حرمته عساكر روسية وضربته بالمدافع

يجودون بالارواح، نساؤهم تُرمل وأولادهم تُيتم، وديارهم تُخرَّب، ومزروعاتهم تتلف وتنهب، فاذا يمكنهم أن يفعلوا وحدهم مع ذلك ؟ لقد صار من الصعب العسير على السلطان صيانة قبور أجداده من أيدي الاعداء واساءتهم - وقد وجهت القوات المسيحية بأجمعها ضغطها عليه - فا الذي يحملنه على صيانة الكعبة المعظمة والمدينة المنورة والبيت المقدس وكربلاء اذا اجتمع عليها الاعداء ؟ وهل في قدرته وامكانه حفظها من أيديهم؟ لا أدري لم يترك المسلمون فرض حماية الاماكن الاسلامية المقدسة واحترامها لذمة الاتراك وحدهم ؟

أيها المسلمون ! اما أن تتركوا من الآن قولكم انا معكم مسلمون، واما أن تستعدوا على بكرة أبيكم من الآن لحماية وخدمة أماكن دينكم المقدسة وأن تتخذوا للوصول الى ذلك ذرائع نافعة، وتدابير قوية ثابتة، وأن لاتدعوا الاسلام ذليلا في أعين أحد

ان المسلمين اليوم مع ماهم عليه من الهيجان لم يقدروا على صيانة مساجد طرابلس وبرقة وسلانيك من انتهاك حرماتها

انا اذا كنا نحترم أماكننا المقدسة حقيقة، واذا كنا نحب ديننا محبة صادقة، واذا كنا نرغب في حفظ [illegible] وإذا كنا نود صيانة قبر أشرف المطلين نبينا وهادينا [illegible] واذا كنا لا نريد أن تكون حال قبر شهيد كربلاء كحال قبر الامام الرضا، واذا كنا لا نحمل تسليم بيت المقدس الى مخالب بلغاريا أو روسيا - فمن الواجب اللازب علينا اذن أن نتخذ لانفسنا خطة ثابتة للمحافظة على الاماكن الاسلامية المقدسة وخدمتها وحمايتها وذلك يفرض علينا جميعا الاعتناء بابقاء أماكننا المقدسة على حالة جيدة سارة، وأن نيسر سبل تردد المسلمين اليها وأن نعتني بالمحافظة على الصحة وغيرها فيها حتى يستدل من ذلك على عظمة الدين الاسلامي وقدسيته وعلو شأنه وسيطرته وجلاله، وحتى لايجرأ أحد من الملل الاخرى على النظر الى تلك الاماكن المقدسة بنظر الازدراء أبداً

هذا هو التمهيد وسنتبعه بالاقتراح ان شاء الله والسلام خير ختام

عبد الحق البغدادي

نائب استاذ العربية في كلية عليكره الاسلامية

(المنار) إننا ننتظر ترجمة الاقتراح لنبدي فيه رأينا المفصل وأما الرأي الاجمالي فهو الاستحسان والتحبيذ فان هذا في جملته عين ما اقترحناه في آخر المقالة الخامسة من مقالاتنا (عبر الحرب البلقانية وخطر المسألة الشرقية) (راجع آخر ص١٩٢ من هذا المجلد)

كتاب متصرف عسير

﴿ وقائدها سليمان باشا الى السيد الادريسي (*) ﴾

(يطلب فيه الاتفاق وعقد الصلح)

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله الهادي الى سبل السلام ، والصلاة والسلام على سيد الانام ، وعلى آله وصحبه الكرام ، من سليمان شفيق على كمال متصرف وقومندان عسير الى السيد محمد علي الادريسي أرشدنا الله وإياه لما فيه رضاه ، وألهمنا تقواه ، وتولى هدانا وهداه ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . أما بعد فان الانقطاع الحاصل والتنازع الواقع هو مخالف لما أمر الله تعالى بقوله (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) ولكن كل هذا بقضاء الله وقدره ، ولسنا الآن بصدد البحث عما مضى ، وعسى الله ان يجمع القلوب ويكون الاسلام يداً واحدة على أعداء الدين ، ونذب من حقوق المسلمين كما قال سيد المرسلين عليه أفضل الصلاة والتسليم « الاسلام كالبنيان يشد بعضه بعضا » (١) الى كثير من الآيات والاحاديث الواردة بوجوب الاتحاد والتضامن [illegible] ولا [illegible] بهذه العجالة فأنتم لستم كغيركم بل أنتم بدرجة من [illegible] صلاح المسلمين

فهذه دول الاجانب من النصارى أعداء الدين قد تعاونوا وتناصروا واتفقوا على محو الاسلام وهدم قواعد الايمان وان يجعلوا البلاد الاسلامية مضغة في أفواههم ، وقسمة باردة في أطماعهم ، وقد بلغنا ما حل باخواننا المسلمين في الجهات فواجب علينا معشر الاسلام الذب عن الوطن ، الذب عن العرض ، عن النفس ، عن الدين ، كما قال عليه الصلاة والسلام « قاتل دون مالك » (٢) فما بالك دون نفسك ، دون عرضك ، دون دينك . ويعفو الله عما سلف ، فبادر لندفع عن الوطن ، عن الدين ، عن المسلمين هذه البلية ونكون يداً واحدة على حفظ حقوق المسلمين . هذا زمن الحمية الاسلامية والجهاد هذا وقت الاخلاص وأوان الخلاص . ان الامة الاسلامية في أقطار الدنيا ناظرة الينا وعندها الظن الجميل بتعاوننا وتناصرنا وها أني أنتظر منك

(*) هو الذي اشرنا اليه في الجزء الماضي في هامش كتاب السيد الادريسي الى الامام يحيى

(١) لفظ الحديث « المؤمن للمؤمن كالبنيان » الخ رواه الشيخان وغيرهما عن ابي موسى

(٢) رواه احمد والطبراني وله تتمة

الجواب الشافي الذي يكون فيه حفظ شرف الاسلام فان أجدادك الكرام قد أسسوا مجد أخرويا فهدوا وأرشدوا وحفظوا كيان الاسلام، وشادوا أركان الايمان، وهذه نزغات قل مسطور نرح لك به النصح الواجب فان أحبت فارسل لنا بسرعة هيئة تعتمدون عليها لتتحاور معها بما يصلح ويحفظ شأن الاسلام والمسلمين على شرط بالوجه والامان، وان شئت بين لنا معاملكم لدفع أعداء الدين فيجتمع الرأي المصيب بما فيه الصلاح ان شاء الله . واني عازم بحول الله على مدافعة أعداء الدين والجهاد امام المسلمين، مع ما لدي من قوة هي تزيد عن عشرين الفاً ، ونحن بهذا العزم ولو فني منا الصغير والكبير، وعلى الله توكلنا واليه المصير، فاسرعوا الينا بالجواب، وفقنا الله واياكم للصواب، والسلام في ٢١ شوال سنة ١٣٢٩

﴿ كتاب السيد الادريسي في جواب سليمان باشا ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين وهو حسبي وكفى ، وأتم الصلاة والسلام المقترنين بالتحيات القدسية على أشرف الخلائق المصطفى، وآله وصحبه معادن الصدق والوفا . من [illegible] الى [illegible] صاحب السعادة سليمان شفيق بن علي كمال [illegible] سالك أهل البصائر للبصرة ، وأخذ بيدنا وبيده الى ما ينفع في الدنيا والآخرة ،

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبينما النفس في قلق، والانفاس تصاعد بنيران الارق ، مما فعل المسلمون بأنفسهم ، بينما أسلافهم قد رفعوا لهم أعلام العز ، وشادوا على قوائم الدين دعائم العصمة والحرز ، أولئك الذين استمسكوا بعروة الله الوثقى التي ليس لها انفصام ، وكان لهم من قوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعاً » وغير ذلك من آيات الذكر الحكيم أعظم اعتصام ، اذ خلف من بعدهم خلف أضاعوا الحقوق ، واستبدلوا باخاء الدين الذي به ملاك الامر القطيعة والعقوق ، ليستمد أحدهم لاخيه الدسائس، وبعد أعظم المفاخر انا صرعه فات، مع ان مجرد الاشارة بحديدة وردفيها «من أشار الى أخيه بحديدة لم تزل الملائكة تلعنه حتى يشيمها » (1) هذا وأعداء الله من وراء هذه الاستار

(1) المنار : حديث رواه مسلم في صحيحه والترمذي من حديث ابي هريرة بلفظ « من اشار الى أخيه بحديدة فان الملائكة تلعنه وان كان اخاه لابيه وامه » ورواه الحاكم من حديث عائشة وصححه بلفظ « من أشار بحديدة الى احد من المسلمين يريد قتله فقد وجب دمه » ورواه =

ينظرون نظر المفترس البناء، ويترقبون كل آن الفرصة لحرباً، ومن الحق أن نخرب بيوتنا بايدينا، فأخاهم بنا عليناء كما تالم تل في القول الصحيح، ان التنازع يوجب الفشل ويذهب بالريح، (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين) فلا تعجب من هذه القمة، اذا حلت بنا معاشر هذه الامة، والطوى على الهوان يومهم وأمسهم، لانهم (نسوا الله فأنساهم أنفسهم) (فهل يهلك الا القوم الفاسقون). (إن الذين يحادون الله ورسوله أولئك في الاذلين) ولو انهم اعتصموا بحبل الله مولاهم، لكان لهم نعم المولى ونعم النصير وكفاهم، ولكان لهم ما كان لاسلافهم اذ دانت لهم المشارق والمغارب، وما قاومهم أحد الا خذل لانهم حزب الله وحزب الله كما كتب على نفسه هو الغالب (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون، وان جندنا لهم الغالبون* ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لامولى لهم* وان تولوا فاعلموا ان الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير) ومهما عال العدو بما في يده من الآلات الشنيعة، فانها والله ستنكشف عما هو كسراب بقيعة (فأي الفريقين أحق بالامن ان كنتم تعلمون . الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الامن وهم مهتدون) وأعداء الدين في كل وقت أعظم عدداً، [illegible] استعداداً، [illegible] عدداً وجنداً، ليحق الله قوله (ولن تغني عنكم فئتكم شيئاً ولو كثرت وان الله مع المؤمنين* والله غالب على أمره* حتى اذا ما رأوا ما يوعدون فسيعلمون من أضعف ناصراً وأقل عدداً) ولا زال الحق هذه صفاته، وفي كل آن ومكان هذه نعوته، (وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً لامبدل لكلماته وهو السميع العليم)

فبينما الخاطر في هذه الهامه، والفكر في هذه المفاوز حيران ووالهٍ، وهل من مستبصر مستهدٍ، يأخذ في هذه المضايق بالايدي، اذ ورد كتابكم الكريم، المستحق للاحترام والتعظيم والتفخيم، سفراً عما تحدو اليه الرغائب، من الدعوة للاتحاد ونبذ ما هو بجانب، فانشرح البال وأسرعت الى دواعيك، وحمدت الله اذ كانت نسائم التوفيق تهب بناديك، متوكلين على الملك الجليل، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وهل يرضى الله ورسوله الا اذا كان المسلمون اخواناً، يجاهدون في سبيله وعلى الحق أعواناً، ولقد أخذنا وأخذتم بذلك، حتى حالت أمور قد ذكرتم لاحاجة الى ذكر ما هنالك، وما ذكرتم من الحيثة فقد أرسلنا اليكم أخانا محمد يحيى ومعه جماعة يتوجهون الى

= البزار والطبراني عن أبي بكرة ذلط ذلك، (وفي رواية الطبراني) البلاء من أهله سلامة لا تزال ملائكة الله تلعنه حتى يشيمه عنه) الى يشهده

وجال (اللع) (١) ولا تطلق نفسه بالدخول الى ابها نيتفق بجنابكم بالمراف الع الشام ونحصل للمذاكرة. وان شرفتم بالقدوم فأهلاً وسهلاً، وغيرنا وغيركم لا يكاد يهذه المقاصد أن يقوم، ولعلنا أن نكون السبب في كشف هذه المشاكل، من جميع الوجوه في أقرب وقت عاجل، فترتاح الدولة لا في هذه الديار، بل في جميع الاقطار والامصار، والامور وان تشعبت فان مرجعها الى الله، وبيده الحركة والسكون وهو أهل الكرم حاشاه أن يخيب من وفقه للالتجاء اليه ودعاه، سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم والسلام عليكم وعلى من حواه المقام، ورحمة الله وبركاته في البدء والختام

ثانية شوال سنة ١٣٢٩

﴿ الكتاب الذي ارسل الى السيد الادريسي من مأمور مفرزة (ميدي) ﴾

وهو جواب ما أرسله اليه السيد بالمسعدة (٢)

بسم الله الرحمن الرحيم الى جناب السيد الاجل، رفيع القدر والمحل، السيد محمد ابن علي الادريسي سلمه الله آمين . بعد مزيد شريف السلام مع التحية والاكرام نشاكم على الدوام. [illegible] ٢٢ شوال سنة ١٣٢٩ والجوابات التي بباطنه نقل (صور) كتاب عزت باشا وكتاب الامام يحيى الواردة منكم بواسطة السيد يحيى بن موسى الرفاعي وقد اسرنا ذلك وقد قرأناهم بين سادتو شرفاء ومأمورين وأعيان وجملة من الاسلام وقد أخذنا نقل (صور) الجميع وعزمنا رسلهم الى محل رجوعنا (الاستانة) وعند ورود الجواب نعرفكم بكل حقيقة وربنا يؤلف بين القلوب ويصلح ذات البين ويعيد الاسلام ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته والسلام

٢٦ شوال سنة ١٣٢٩

مأمور مفرزة العسكرية بميدي

اسماعيل

(المنار) قد رأى القراء كتاب سليمان باشا الى السيد الادريسي ورأوا ماتيه من الاستمالة باسم الاسلام . ورأوا كيف اجابه السيد بالقبول والرغبة في الاعتصام ، وقد علموا من كتاب السيد الى الامام الذي نشرناه في الجزء الماضي ان كتابة الباشا كانت خديعة . هكذا فعلوا وهكذا يفعلون ! (قل هل ننبئكم بالاخسرين أعمالا ؟ الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا)

(١) اسم موضع　(٢) المسعدة موضع

المؤتمر العربي بباريس وحزب اللامركزية بمصر

بحث الأوربيون آنا بعد آن في خطرين وهميين يمكن عقلا وفرضا أن ينازعا دولهم في سيادة الارض، وهما خطر الجامعة الاسلامية والخطر الاصفر. فرضوا احتمال رجوع المسلمين الى الاعتصام بحبل الاسلام واسترجاع سيادته وقوته ولو في بعض الممالك الاسلامية — واحتمال ارتقاء الامة الصينية وقوتها في بلادها، فحملهم هذان الفرضان على اتخاذ الاهبة والتعاون فيما بينهم على ازالة مابقي من ملك هاتين الامتين واقتسام بلادهم ولو بالفتح السلمي الذي هو أرقى ماوصل اليه البشر في الفتح والسيادة، وهو الفتح بالعلم والعقل والحزم والمال، تؤيدها قوة الاساطيل والجنود عند الحاجة لأجل حمايتها وهيبتها

أما الشرقيون فصمّ نذر الاخطار آذانهم، وتغشى أشباحها المزعجة أعينهم، وهم يتمارون بالنذر، ويتجادلون في مواقع العبر، وقد كانت الحرب البلقانية النهائية آخر صدمة صدمت الشرق فأتت على هدم آخر ركن للاستقلال في آخر مملكة مستقلة فيه أو كادت، وأهل هذه المملكة يتمارون فيما بينهم ويتجادلون، ولا يعتبرون بما حل بهم ولا يزدجرون

من يحاول من الشرقيين عملا ما لأمته فانما يحاوله في آخر الوقت الذي يمكن فيه العمل أو بعد ذهاب الوقت، وقد كان يجب على الامة العربية أن تهب من رقدتها، وتعمل لنفسها ولدولتها، وتثبت لنفسها وجوداً تحترم به حقوقها وتعمر بلادها، — ان لم أقل ان هذا كان يجب عليها منذ تملقت السلطة الجدية التدميرية في ولاياتها، وأنشأت تجهز الحملات العسكرية على معاهد القوة منها كاليمن، والحملات الافسادية على الولايات الضعيفة كسورية. وإذ لم يفعلوا فليكن ذلك العهد عهد الايقاظ والتنبيه، وعهد الاتحاديين الذي هو شر منه وأشر عهد الوحدة والعمل

رأى العرب من الاتحاديين مارأوا من سفك دماء إخوانهم وتدمير بلادهم في اليمن والكرك وحوران، وإفساد ذات بينهم ومقاومة لغتهم في سورية والعراق، ورأوا ان هؤلاء قد أنشأوا يهدمون مابقي عليه عبد الحميد من ملك بني عثمان، ومع ذلك لم يزدادوا الا أملا ورجاء في عاصمتهم البزنطية عاصمة الجهل والغرور، والخيلاء والاسراف والظلم والخيانة والتدمير، ولم تر العبر والكوارث المحدقة بهم، والمنذرة لدولتهم قد أثرت فيهم تأثيراً جمع كلمة أهل الرأي والبصيرة الى العمل الواجب، حتى اذا بلغت التراقي

وقيل من راق ، والتفت الساق بالساق ، وظفرت جيوش البلقانيين بإخوانهم وأبناء دولتهم ، وصارت مدافع البلغاريين تزلزل بدويها منازل تلك العاصمة ، وتقلق بأصواتها سلطانها في مضجعه بقصر « ضوله بغجه » ، وصارت الامم الاوربية تحدث بتصفية حساب المسألة الشرقية ، وسمع من باريس صوت مزعج يدعي لفرنسة حقوقاً في سورية ، ورؤيت المدرعات الفرنسية وغير الفرنسية تتهادى في الموانئ السورية وغير السورية ، — بعد هذا كله تحرك أهل الغيرة والاخلاص من العرب وحاولوا ان يعملوا عملا يحفظ بلادهم من استيلاء الاجانب عليها ، وان يصلح حالهم فيها ، فكانت حركتهم هذه في آخر الوقت ، ان لم نقل انها كانت او كادت تكون بعد ذهاب الوقت

ماذا عملوا ؟ ألف أهل الاخلاص والغيرة من السوريين المقيمين بمصر حزب اللامركزية الادارية العثماني ، فلم يجعلوه حزباً سورياً ولا عربياً بل عثمانياً عاماً ، وقام أهل ولايات سورية (بيروت والشام) والعراق يطلبون الاصلاح لولاياتهم على أساس وقواعد اللامركزية ، وفي باريس مئون من العرب السوريين أهل العلم العصري والادب والتجارة وطلاب العلوم العالية أزعجهم صوت (موسيو بوانكاره — رئيس وزارة فرنسة بالامس ورئيس جمهوريتها اليوم) اذ قال في مجلس النواب ان لدولته حقوقاً موروثة في سورية . وهم أول من سمع هذا الصوت في مركز قوته وعظمته ؛ فأحسوا بالخطر على وطنهم الخاص وعلى قومهم ودولتهم ، فأجمعوا أمرهم على ان يسمعوا فرنسة وسائر عالم المدنية صوتهم المعبر عن احساسهم ورأيهم في أمتهم ودولتهم ، وكراهة اقتياتها عليهم ومقاومة احتلالها لبلادهم ، وان يدعوا لمشاركتهم من شاء واستطاع السفر اليهم من امتهم العربية ، وهم يعلمون كما يعلم كل عاقل خبير انه قلما يرحل هذه الرحلة الا من يشتغلون بالمصلحة العامة من حملة الاقلام الاحرار ، وأصحاب الافكار ، فتكون وظيفة المؤتمر الطبيعية ان يطلع العالم الاوربي على رأي جمهور كبير من العرب يمثل بطبعه نهضتهم ، فيعرفوا حقيقة المسألة العربية التي أحدثتها جمعية الاتحاد والترقي في عالم السياسة ، ولم تكن شيئاً مذكوراً الا على ألسنة جواسيس عبد الحميد وأقلام مستغلي أوهامه ، ولا شيئاً موجوداً الا في خياله وخيال مبغضي العرب من ساسة دولته ، وان هذه المسألة لو وجدت في كتاب تاريخ السياسة قبل الآن ، لنجت الدولة بقوة العرب مما وقعت فيه من الخذلان والهوان

وقد رأى الداعون الى هذا المؤتمر انه يجب ان يكون لهم حزب يؤيدهم ويؤيدونه

فانتسبوا الى (حزب اللامركزية الادارية العثماني) الذي أسس في مصر وجعلوا مؤتمرهم تابعاً له، وطلبوا منه أن يرسل اليهم وفداً يكون أحد أعضائه رئيساً للمؤتمر، فتلقى الحزب ذلك بالقبول واختار السيد عبد الحميد الزهراوي واسكندر بك عمون لذلك وسيكون أولهما رئيس المؤتمر. وقد تقرر أن تدور مباحث المؤتمر على المسائل الآتية:

(١) مقاومة الاحتلال الاجنبي للوطن (٢) حقوق العرب في المملكة العثمانية (٣) وجوب تغيير شكل الادارة العثمانية الحاضر وجعله من نوع اللامركزية الادارية اذ لا يرجى صلاح المملكة بدون ذلك، ولا بقاء لها الا بصلاحها كما تقتضيه سنة الله تعالى في الخلق، المعبر عنها في لسان العلم بالانتخاب الطبيعي وبقاء الامثل (٤) المهاجرة من سورية واليها

هذه المسائل هي أهم المسائل الاجتماعية الحيوية في المملكة العثمانية، وأكثرها قد صار حديث ساسة الدول وجرائد الامم، ولو لم يوجد من العرب حزب ولا مؤتمر يبحث فيها لجاز لجميع الامم والدول أن تعتقد أنه لا يوجد في المملكة العثمانية أمة تسمى الأمة العربية، وأن تصدق مزوري جمعية الاتحاد والترقي في زعمهم أن العرب ليسوا أمة ولا شعبا فيحسب لهم حساب في ادارة المملكة العثمانية ومصالحها وانهم قبائل: عرجلة أو عراجل من الوحوش في اليمن وبوادي الشام والعراق والحجاز ونجد يشكل بهم الجيش العثماني (العسكر!!) وفلاحون من أهل سورية ومدن العراق تتصرف بهم الحكومة المركزية بما تشاء من رعي ومنع، وذبح وبيع

سيكون لحزب اللامركزية ولمؤتمره في باريس، ولطلاب الاصلاح المبني على قواعد هذا الحزب في الولايات السورية والعراقية شأن عظيم في الآستانة وأوربة المسيطرة على الحكومة العثمانية، وان كابر الحس والنفس في ذلك زعماء جمعية الاتحاد والترقي واستعملوا سلطة الحكومة وألسنة المنافقين المتزلفين لها وأقلامهم لتحقيرها وتهوين أمرها، وهي لم تحقر شيئا الا وعظم، ولم تعظم شيئا الا وحقر، لانها مخذولة من الله المتكفة لسنته في خلقه وشرعه، كما ثبت بالتجربة مرارا، ومن ذلك أنها تلبس الحق بالباطل فتصف الشيء بضد ما هو عليه، وتسلك الى كل غاية الطريق الموصل الى ضدها، فهي تأمر منافقيها بأن يذيعوا ان المؤتمر وحزب اللامركزية وطلاب الاصلاح يعملون بايعاز من الاجانب ليمهدوا لهم طريق احتلال وطنهم !! والامر بالضد كما هو ظاهر وسيكون في المؤتمر أتم ظهورا – كما توعز اليهم أن يقولوا انها تعمل لاحياء الجامعة الاسلامية على حين نرى بعض كتابها ينشر في مجلة الشرق الانكليزية مقالا

يحاول فيه اقناع الانكليز وغيرهم من الاوربيين بأنه لايوجد في المملكة أحد غير هؤلاء الشبان من الترك يتجرأ على كسر القيود الدينية التي تقيدت بها الدولة العثمانية ويطلب اعانة أوربة لهم على ذلك

وجملة القول إن الحكومة الاتحادية قد أضاعت بجهلها وغرورها وخبث طويتها جميع الممالك العثمانية الاوربية والافريقية، وهي تساوم أوربة على بيع منافع الممالك الاسيوية ، وكل هذا من فساد الحكومة المركزية التي تجعل أمر الامم والممالك في يد واحد أو آحاد اذا فسدوا أفسدوا وأهلكوا الجميع ، ولو كان للامة صوت مسموع في مصالحها كالصوت الذي نسمعه الآن من حزب اللامركزية وطلاب الاصلاح لما أمكن لهؤلاء وأمثالهم اضاعة الدولة . وهذا الصوت على كونه قد تأخر عن وقته لابد ان تكون له فائدة ما ، وأقلها أن تحسب أوربة له حسابا فيما ستقرره في كيفية ادارة هذه الدولة ، اذ فوضت الحكومة الاتحادية اليها أمر المملكة ، بل ظهرت فوائد ذلك قبل تمام المؤتمر فبدأت الوزارة الاتحادية تستميل العرب بعض الاستمالة ، ولولا انها وجدت فيهم بعض المنافقين يموهون عليها امر طلاب الاصلاح لما تلبثت في قبوله [illegible] على هذا الشرط [illegible] يكون أمر الدولة في أيدي الاتحاديين [illegible] فاذا عجل الله انتقامه منهم، ودالت الدولة للائتلافيين (*) والصالحين دونهم ، يومئذ يكون العرب شركاء الترك لاعبيدهم في هذه الدولة، فلا يكون احدهما مظلوما مع الآخر فيمقته ويخذله ، ويقوم بناء ادارة المملكة على قواعد اللامركزية الثابتة ، يومئذ يعض المنافقون على أيديهم يقولون يا ليتنا اتخذنا مع حزب المصلحين سبيلا ، وخفضنا من اسرافنا في التملق للاتحاديين المفسدين ولو قليلا .

وجملة القول انه قد ثبت قطعا ان الدولة لاتستطيع حماية بلادها من الدول الكبرى اذا اردن اقتسامها ، وان أمر اقتسامها منوط باتفاق الدول بينهن لابطلب الامة للاصلاح وعدمه . وانه اذا لم يصلح أمر الامة ويظهر استقلالها بشؤونها الادارية والاقتصادية فان بلادها ستكون غنيمة باردة للاوربيين سواء احتلوها بالجند أم لا ، وانها لن تصلح مادام أمرها كله بأيدي من يتغلب على السلطة في عاصمتها ولو بالثورة وسفك الدماء . فنسأل الله أن يأخذ بأيدي المصلحين ، ويكفيهم شر المستبدين والطامعين ، آمين

(*) يظن كثير من الناس ان وزارتي مختار باشا وكامل باشا كانتا ائتلافيتين وهذا خطأ وقد سمعنا من صادق بك رئيس الائتلافيين انهم لما أسقطوا وزارة سعيد لما رأوا أن يفتنوا الامة انهم يعملون لها لا لأنفسهم فسلموا الوزارة لاشهر رجال الدولة وكان يجب ان يشاركوهم فيها

رحلتنا الهندية العربية

﴿ شكر علني لأهل عمان والكويت ﴾

شكرنا في الجزءين الأول والثاني لاخواننا مسلمي الهند حفاوتهم بنا وحسن ضيافتهم، ووعدنا بأن نشكر مثل هذه الحفاوة لاخواننا العرب الكرام في مسقط والكويت والعراق، وقضت كثرة المواد التي لا يمكن تأخيرها ان نرجئ الوفاء بهذا الوعد الى هذا الجزء.

سافرت من بمبي صباح الجمعة لتسع خلون من جمادى الأولى العام الماضي في سفينة انكليزية قاصداً مسقطاً من طريق كراچي، وكنت حريصاً على السفر في احدى بواخر الشركة العربية التي يديرها في بمبي مؤسسوها من اصدقائنا تجار العرب، وكان ذلك يسرهم أيضاً، وقد تحدثنا به مع مدير الشركة الهمام الشيخ محمد المشاري في قصر الزعيم الكبير صديقي وصفيي الشيخ قاسم ابراهيم فعلمنا ان انتظار مواعيدها يضيع علي اياما كثيرة، وقد انتقلنا في ميناء كراچي الى سفينة انكليزية أخرى حملتنا الى مسقط فوصلنا اليها ضحوة يوم الاثنين [illegible] وقد [illegible] كان قد وصل الينا زورق بخاري من السلطان الكريم السيد [illegible] بعض رجاله لاستقبالي وكان كاف من يعتمد عليه في بمبي ان يخبره عن سفري بها برقية يعرف بها موعد وصولي، قصعدوا ومعهم صديقي الفاضل السيد يوسف الزواوي أكبر سادات مسقط بعد اسرة السلطان وأكبر تجارها قدرا وجاها وشهرة، فعرف الجماعة بي وبعد السلام نزلنا الى الزورق فحملنا الى رصيف قصر السلطان فصعدنا الاعمر وبعد السلام والمكث مع السلطان ساعة من الزمان ذهبنا الى دار ضيافته التي أعدها لنا . وكان صديقنا السيد الزواوي أعد دارا جديدة له على الطرز الحديث لأ كون فيها مدة وجودي في مسقط فنفس عليه السلطان ولم يسمح له بذلك

أقمت في مسقط أسبوعا كان يختلف الي كل يوم وكل ليلة منه وجهاء البلد وأذكياؤه ويلقون علي الاسئلة الدينية والفلسفية والأدبية والاجتماعية، وزارني السلطان في دار الضيافة أيضا ومكث معي عدة ساعات، وزرته في مجلس حكمه عدة مرات وكان يلقي علي في كل مرة الاسئلة المختلفة، وكان يكون معه في مجلسه أخوه السيد محمد وهو كثير المطالعة في الكتب ولكنه لايحب البحث في المجالس في كل مايطلع عليه من المسائل . وقد عهد السلطان الى كاتبه الخاص من أهل السنة الزبير بن علي ان يتولى

أمر النيابة بضيافتي والى كاتبه الآخر الشيخ ابراهيم بأن يتعاهدني معه أيضا

وأدب لي صديقي السيد الزواوي مأدبتين حافلتين احداهما في داره العامرة في نفس مسقط دعا اليها علماء ووجهاء البلد والاخرى في داره بقرية (سداب) وهي على مسافة ميل من مسقط ذهبنا اليها بزورق السلطان في البحر وعدت انا ماشيا مع بعض المدعوين برا لأجل الرياضة ورؤية ثنية الجبل التي يسلك منها الى مسقط المطوقة بالجبل . وقد دعا الى هذه المأدبة مع وجهاء مسقط وجهاء القرى المجاورة لها فاجاب الدعوة عشرات منهم وكان الغرض من ذلك ان يسمعوا كلامي وتذكيري بآيات الله ، وقد فاض معين السخاء العربي الهاشمي في هذه المأدبة على فقراء القرية الذين اعتادوا ان يعشوا الى ضوء نار السيد الزواوي الذي هو مظهر لقول الشاعر « ما احسن الدين والدنيا اذا اجتمعا » فتراه بين مظاهر الكرم والنعيم ، لايغفل عن مراعاة ما يمكن تحصيله من فوائد العلم والدين؛ بنى لنفسه عدة دور فخمة جميلة في مدخل البلد على البحر وهو موقع [illegible] بشارك [illegible] السلطان وقنصل الانكليز في [illegible] ويسكن في دار له فيه قنصل أمريكة وبنى فيه مسجداً هو أنظف مساجد البلد وأزهاها ، وقد جر [illegible] ([illegible]) وجعل له عدة حنفيات ، وعلى هذه الطريقة [illegible] وخطبت في يوم الجمعة ان اعظ الناس في مسجده بعد [illegible] الجمعة فأجبت ، وكان من تأثير الكلام فيهم أن ارتفعت اصواتهم بالبكاء والنحيب والنشيج ، واقترح علي ايضا ان اتكلم واذكر من يحضر المأدبة الثانية من الوجهاء والخواص فأجبت . ونجله الكبير الشيخ عبد القادر له ذوق في النظام وميل الى الصناعة وقد مد من دراهم في سداب الى دراهم في مسقط مسرّة (تليفون) فكانت هي الوحيدة في تلك القرية

وسافرت من مسقط ضحوة يوم الاثنين لتسع عشرة خلون من الشهر ومكثت في مجلس السلطان زهاء ثلاث ساعات من أول نهار السفر كان يلقي فيها علي الاسئلة الكثيرة في العقائد وما يتعلق بها والاحكام الشرعية والاجتماعية والتاريخية وتارة يشير الى رجاله بأن يسألوا وكانوا جميعا يسرون من الاجوبة ، ثم نزلنا الى البحر فودعني السلطان على رصيف قصره ونزل معي في زورقه البخاري جميع من كان ثم من آله الكرام وهم خمسة اكبرهم السيد نادر ، ومنهم بعض كتابه وحاشيته (ومن سوء حظي اني كان ولي عهده السيد تيمور مسافرا فلم أره) وظل هو واقفا على الرصيف حتى بعد الزورق عنه ، فودعته الوداع الاخير بالاشارة . ونزل معنا

أيضا صديقنا السيد الزواوي ونجله والسيد علي ابن عم السلطان وصهره وقد سافر معنا قاصدا البصرة فرأيت منه رفيقا تقيا نقيا صفيا . وقد مكث معنا أولاد السلطان والزواوي ساعة من الزمن في الباخرة ثم ودعناهم الوداع الاخير وعادوا الى مسقط موشحين بجلابيب شكرى الخالص وودي الدائم ان شاء الله تعالى (وسنصف مسقط ونتكلم عن حالة أهلها الاجتماعية في الرحلة)

جرت السفينة بنا من مسقط ظهر يوم الاثنين وهي انكليزية تقطع في الساعة ١٢ ميلا فقط ، وفي ضحوة اليوم الثاني خرجت بنا عن محاذاة جبال عمان ودخلت في الخليج الفارسي فصرنا نرى بر فارس عن اليمين وبر العرب عن اليسار ، ووقفت بنا فجر يوم الخميس في موضع من عرض البحر كان ينتظرنا فيه مركب شراعي كبير أرسله الينا الشيخ مبارك الصباح صاحب الكويت وكان علم بانا نصل اليه في هذا الوقت في هذه الباخرة مما كتب اليه من بمبي ومسقط ، فنزلنا فيه قبل طلوع الشمس فاقلع بنا والريح لينة والبحر رهو ، ثم قويت الريح قليلا في النهار فبلغ بنا الكويت قبل غروب الشمس . وكان رجال الشيخ مبارك حملوا فيه خاروفين كبيرين وكثيرا من الحلوى والمشمش والخيار فأفطرنا وتغدينا فيه [illegible] الذي كان معهم الخروف بالرز الهندي وهو [illegible] الى الليل فبقيت المحارة) وقد استقبلنا أولاد الشيخ مبارك وبعض الوجهاء في زورق صغير خارج الميناء

أنزلني الشيخ مبارك في قصره الجديد الذي هو قصر الامارة وتولى مؤانستي ومجالستي في عامة الاوقات نجله الشيخ ناصر رئيس لجنة مدرسة الكويت لانه هو الذي يشغل عامة أوقاته في مدارسة العلم ومراجعة الكتب حتى صار له مشاركة جيدة في جميع العلوم الاسلامية ، وألقت في الكويت أسبوعا كنت كل يوم — ما عدا يوم البريد — ألقي فيه خطابا وعظيا في اكبر مساجد البلد فيكتظ الجامع بالناس ، وكان يحضر مجلسي كل يوم وليلة وجهاء البلد من أهل التقوى وحب العلم يسألون عما يشكل عليهم من أمر دينهم ، وأما الشيخ ناصر فكان يسأل عن دقائق العلوم في العقائد والاصول والفقه وغير ذلك ، على أنه لم يتلق عن الاساتذة فهو من مظاهر الذكاء العربي النادر

ومما احب أن أذكره هنا — وهو من مباحث الرحلة — مسألة علاقة الشيخ مبارك بالدولة العثمانية والانكليز . كنا نسمع المتافقين لرجال الدولة يصفون صاحب الكويت بالخيانة للدولة ويعيبونه بطلب حماية الانكليز له ، فسألته عن ذلك فقص علي قصة سألت عنها بعد ذلك السيد رجبا نقيب البصرة مندوب الحكومة اليه فيها فكان

جوابه . وأما الجواب الشيخ مبارك . ثم ذكرت ما قاله الشيخ فهد بك الهزال شيخ قبائل عنزه في العراق اذ كنت في ضيافته على نهر الفرات مع صديقي مراد بك (أخي محمود شوكت باشا) أصدق ما قاله الشيخ مبارك وزادني فوائد هو أعرف الناس بها

وملخص ما قاله الشيخ مبارك أنه في أواخر مدة عبد الحميد ساقت الدولة بعض العسكر مع عربان ابن الرشيد الى قرب الكويت وأرسل المشير فيضي باشا السيد رجبا النقيب ومعه نجيب بك ابن الوالي الى الكويت ليبلغاه انه قد صدرت ارادة سنية بوجوب خروجه من الكويت الى الآستانة أو الى حيث شاء من ولايات الدولة والحكومة تعين له راتبا شهريا يعيش به فان لم يخرج طائعا دخل الجند مع عرب ابن الرشيد وأخرجوه بالقوة . فسألهم ما هو ذنبه الذي استحق به النفي من بلده وعشيرته؟ وذكر نقيب البصرة بما يعرف من إخلاصه الدولة وإعانته لها بالمال عند كل حادثة وبما كان من محاربة سلفه وعشيرته لقبائل المنتفك المالكين للبصرة وإخراجهم منها وجعلها في حكم الدولة كما ملكهم هو وعشيرته بقوم الاحساء وغيرها . وطلب منه أن يعود الى البصرة فيقنع المشير بمراجعة الآستانة . فقال له انما علينا البلاغ وليس في يدنا غيره ، قال فخرجت من عندهما بقصد ... وكانت ... علمت بكل ما دبرته الدولة في ذلك وبمجيء عشيرة ابن الرشيد مع العسكر الى جهة الكويت فأرسلت مدرعتين فوقفتا تجاه البلد فلما عدت رأيت اميرالا انكليزيا قد نزل من احدى المدرعتين ومعه بعض الجند فسألني عما جرى فأخبرته الخبر فقال ان حكومتنا متفقة مع حكومة الترك على أن تبقى الكويت على حالها ، لا يتعرضون ولا نتعرض لها ، واذ قد غدروا وخالفوا فقد صار لنا حق الدخول في أمرها ، ولا يمكن ان نسمح لجندي عثماني أن يدخلها ، واذا دخلوا برضا كم دمرناها على رؤوسكم ورؤوسهم ، ثم بلغ الاميرال ذلك لنقيب البصرة رسول الحكومة فقفل راجعا وبلغ المشير ذلك فأمر المشير بصرف الجنود والعربان ،

(قال) فما كان من تدخل الانكليز في أمر الكويت لم يكن بطلب مني بل كان هذا سببه . وقد عرضوا علي أن اختار لنفسي راية أرفعها على البلد وأعلن الاستقلال تحت حمايتهم فأبيت ذلك وهذه الراية العثمانية تراها كل يوم مرفوعة فوق رأسي . وقد تعجبوا من قولي لهم اني اختار ان اكون عثمانيا . قيل لي أتقول هذا بعد ان رأيت منهم ما رأيت؟ قلت ان الوالد اذا قسا في تربية ولده احيانا لا يخرج بذلك عن كونه والده الذي تجب عليه طاعته !! اه وسأذكر في الرحلة ما أيد به نقيب البصرة وشيخ عنزه هذا الكلام . فليعتبر المغترون بإخلاص العرب للدولة على سوء معاملتها لهم (الكلام بقية)

« أخبار مختصرة مفيدة »

« الصلح العثماني البلقاني »

كان الاتحاديون هم سبب اتحاد البلقانيين على قتالنا وهم سبب اقدام الدولة على قتالهم وهم القائلون لكامل باشا من عقد صلح شريف في الجملة وزعموا انهم لايذلون لاوربة وانهم قادرون على الثأر من البلقانيين وحفظ شرف الجيش واعادة ولاية أدرنة ، وكان الامر بالضد فذهبت أدرنة ويانية وكل ما كان للدولة فيهما من السلاح والذخائر ورضيت الوزارة الشوكية الاتحادية بعد هذا الذل والخسران بصلح فوضت فيه الامر الى أوربة بلا شرط ولا قيد ، فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

« الشيخ قاسم ابراهيم في دار الدعوة والارشاد »

ألمّ صديقنا المحسن الشهير الشيخ قاسم ابراهيم في هذا الربيع بمصر فأقام فيها أسبوعا كان فيها [illegible] . ولما كان هو عضو الشرف الأول في جمعية الدعوة والارشاد [illegible] ادارة الجماعة الى شرب الشاي وما يتصل به في مدرسة (دار الدعوة والارشاد) فأعدوا لذلك مائدة حافلة شهدها مع الكثيرين من أعضاء الجمعية بعض كبار رجال العلم الديني والدنيوي يتقدمهم الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الازهر وشيخ مذهب الشافعية وبعض كبار علماء الازهر وعلي باشا ابو الفتوح وكيل نظارة المعارف واحمد زكي باشا كاتب سر مجلس النظار ، وقد سئل الطلبة امام الحاضرين عدة اسئلة احسنوا الجواب عن أكثرها . وطاف الشيخ قاسم مع ناظر المدرسة (صاحب هذه المجلة) معاهد المدرسة فأعجبه نظامها ونظافتها وسر بهذا العمل الشريف الذي كان هو المتبرع الأول له

« اقتران صاحب المنار »

في الليلة الثامنة عشرة من هذا الشهر بنى صاحب هذه المجلة على سعاد كريمة الشيخ حسن الصفدي ، وبيت الصفدي في طرابلس الشام من بيوتات العلم التي امتازت بمكارم الاخلاق وطهارة الاعراق . فاسأل الله تعالى ان يجعله بناء مباركا وقرانا ميمونا (ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما)